السنة الخامسة عشرة   العدد ٥   أيار   ١٩١٢

المشرق

شاهد القيامة في دياميس رومية

روايةٌ خياليَّةٌ لاميل كيهارت من الاكادمية الفرنساويَّة (*

نحن في مساء بعض أيام نيسان وموقفنا في ارباض مدينة رومية. فالطبيعة قد لبست ابهى اوشحتها ولاحت باسمى مجاليها في اصيل النهار. وان مددت البصر بعيدًا الى جهة الافق قامت في وجهك على شبه نصف دائرة رحبة جبال بلاد سابينا كأنها قلادة من الدراريّ العجيبة تشعّ تحت الاسهم الارجوانيَّة الذهبيَّة التي ترميها الشمس في ساعة غروبها

والطريق الممتدَّة امامنا تُعزى الى القنصل ابيوس على جانبَيها مدافن قديمة لاعيان الرومان تظلّلها اغصان الاشجار وتزينها بجليّ انوارها الزاهية الالوان. وفي هذه الساعة تتلاعب الريح البحريَّة في تلك الافنان فتُسقط ما بقي فوق رؤوسها من بقايا الثلج الشتويّ فينتثر الثلج ممتزجًا بعرف الزهور فوق صفائح القبور وعلى هام اولئك القوم الاجلّاء المضجعين هناك الراقدين في مدافنهم رقادًا ابديًا

ثم اخذت الطيور تأوي شيئًا فشيئًا الى اعشاشها في اكناف الموج او في اعالي السرو فتكفّ عن زقزقتها وصفيرها. بينما كانت اسراب الخطاطيف القادمة من جهة نابولي تمرّ في لازورد السماء مرّ السهام فتحلّق فوق مباني المدينة القديمة. امَّا ابنية

(*) اهدانا الطبَّاع بلود نسخة من مجموع كتابات الكاتب الشهير ابيل كيهارت التي ترى وصفها في اواخر هذا العدد فاقتطفنا منها هذا الفصل بنسبة عيد الفصح المجيد وعرَّبناه ببعض تصرُّف

رومية من ابراج وقبب واسوار فكأنها تردَّت بستر من الغمام المنير فتلوح الارض مزدانة بشعار سلام مقدّس يُفرغهُ عليها السماء من كمهِ

ففي تلك الساعة كان فارسان يسيران بتؤدة الى رومية في سكّة آبيوس وكان احدهما ذا هيئة رزينة ووجه كاسف قد طعن في سنهِ فمن تفرّس فيه استدلَّ من زيهِ وسحنتهِ انهُ بطريق ذو حسب ونسب وانهُ ليس ضابطاً بسيطاً بل احد ولاة رومية او سفيراً من قبل القيصر . اما الآخر فكان في مقتبل الشباب تدلُّ حركاته على مهنتهِ العسكرية فكان يمشي في رفقة عامل الدولة بوقار وانبساط الخاطر كأنه يحنّ له لما يبدو على جبهتهِ وبين حاجبيهِ من تجلّد الاسرة وفي بصرهِ من الذبول وحول شفتيهِ من شارة الأنفة فكل ذلك يشهد على ما يكنّهُ صدر الرجل الوجيه من الكآبة ولعلّ مهماز الضمير او ذكر فقيد محبوب كان يثأرهُ فلم يبرح من فكرهِ بعد الزمن الطويل

وكان يتبع الفارسين كوكبة من العبيد يسيرون من ورائهما على مسافة قريبة منهما

فهم كذلك اذ ظهر لهم باب المدينة المعروف بباب كابينا المفتوح في اسوار رومية فهتف الشاب :

« اترى يا حضرة العم هؤلاء القوم الذين يتجولون هنا بين الحقول وكأنهم يسيرون زرافات ووحداناً الى جهة منفذ مفتوح في بطن الارض عن شمالنا ؟ . ما قولك ! اقليس هؤلاء من المتآمرين على حياة قيصرنا نيرون كما هو الجاري في ايام الظلم ؟ »

فانتهر البطريق الشابَّ بقولهِ : « صهْ يا طائش فانَّ كلاماً كهذا اذا سمعهُ العبيد رفقتنا او واحدٌ وراء هذه القبور لأمكنهُ ان يرمينا في التهالك . فحذار »

على انَّ الفارس الشيخ بقي شاخصاً الى اشباح المتجولين هناك في شفق النهار . واذا به شعر بقشعريرة في جسمهِ لاح اثرها على وجههِ فصرخ الى ابن اخيهِ :

« هيَّا بنا نحن ايضاً فلنسر الى هذا المدخل السرّي »

قال هذا ثم توجّه الى المنفذ وتبعهُ رفيقهُ فاذا هم بإزاء دهليز ضيّق كان مخدوراً في قعر الارض فترجّل الشيخ والتفت الى ابن اخيهِ قائلاً :

« انتظرني يا سكستوس مع عبيدي هاهنا ومهما طال زمن انتظارك فايّاك ان تخطو خطوةً الى الداخل »

ثم تقدّم الى الامام جارياً في معيّة اولئك الاشباح الذين رآهم يلجون في الدهليز. وبعد قليل سَمع دمدمة قوم متجمعين ثم ميَّز اصوات رجالٍ تارةً يتغنّون بالادعية وتارةً يتنفّسون الصعداء او يلهجون بعبارات الفرح . ثم كانت اصواتهم تهدأ فيسكتون ويخطب فيهم خطيب يرنّ صوتهُ في اعماق تلك الاغوار

فما مشى خطوات حتى ترآت له انوار حمراء كان ينعكس ضوءها في جدران الدهاليز فاشتمّ رائحة اغصان وزهور قُطعت حديثاً فعُلّقت تحت الصخور القبّية. واذا بالطريق بلغ نادياً رحباً قد أُسرجت فيه المئون من أُسرجة الخزف الصغيرة ووجد الحضيض مفروشاً بزهر السوسن والياسمين

فدخل ولم يفرزهُ احد في دخوله بين الجماعة الّا الرجل المتقدّم فيهم. وكان هذا جالساً على مصطبة مرتفعة ويظهر من لانحته انهُ معلّم ذلك الجمهور وكاهنهُ وابوهُ. ألا وهو بطرس الصفا هامة الرسل ورئيس الكنيسة

فاذ رأى الوافدَ الشريف امتُقع لونهُ فأغمض عينيهِ كأنّهُ يدحو في قلبه تذكاراً مؤلماً. ثم التفت الى الزائر غير المنتظر واشار اليه بهيبة ان يجلس في وسط قوم من العملة. فقعد البطريق بين احد نوتيّة نهر التيبر وحدّاد من جبل اسكويلين

وكانت الرتبة الدينية في تواصل يُصغي اليها اولئك الحضور بينهم ضعفاء الناس وفئة من الجند يجالسون بعضاً من سيدات رومية الشريفات والعبيد الاذلاء. وقوماً من غرباء غاليا ومهاجري سوريّة. وكان شمّاس قائماً وهو يقرأ انجيل آلام السيد المسيح مع ما يليه من خبر قيامته المجيدة فجدّد على مسامع الوافدين ذكر تلك الحوادث الجليلة التي جرت في اورشليم قبل بضع سنوات. وكان متولّي تلك الحفلة في ذلك المساء بطرس الرسول في اعماق ديماس حاضرة المدن والجميع ينصتون الى ما يقرأهُ الشمّاس من رواية ضبط السيد المسيح في بستان الزيتون ثم خيانة يوداس ثم تطواف يسوع في كل احياء اورشليم ومثوله امام حانان وفي دار قيافا حتى وصل الى خبر جحود بطرس لسيدهِ ثلاثاً فهيّج ذكر تلك الفاجعة في قلب الرسول عواطف الاتّضاع والخشوع فكان يذرف امام المؤمنين لسخن الدموع ويقرع صدرهُ ندامةً

*

ثم انتقل القارئ الى ذكر دار الولاية الرومانيَّـة في القدس الشريف وما خامر قلب بيلاطس من الضعف والفشل وكيف تردَّد في حكمهِ الى ان قُهر بجلبة اليهود الصارخين: ارفعهُ ! اصلبهُ ! ثم ما ولي ذلك من عذاب الجلد وتكليل هامـة الرب بالشوك المؤلم مع وضع القصبة في يديهِ كصولجـان و إلباسهِ أسمالًا من الارجوان سخريَّةً بهِ وشراسة بني اسرائيل و إصرارهم على طلب قتل المسيح شفاء لبغضهم

ثم اندفع الشمَّاس في قراءتهِ قائلًا: اسمعوا رواية ما عاينهُ احد رسل الرب يوحنا الحبيب واثبتـهُ الانجيليُّون في كتابهم قال: « وكانوا يحيُّونهُ باسم ملك اليهود متهكمين فيلطمونهُ على وجههِ . وخرج بيلاطس ثانيةً وقال لليهود: ها انا اخرجهُ اليكم لتعلموا اني لا اجدُ فيهِ اثمًا . فخرج يسوع وعليـهِ اكليل الشوك وثوب الارجوان فقال لهم بيلاطس: هوذا الرجل »

فلمَّا بلغ الشمَّاس الى هذا المكان من خبر الآلام غطَّى البطريق الروماني وجههُ بطرف ثوبهِ ثم نكس رأسهُ حتى كاد يمسّ ركبتيهِ . وبقي كذلك مدَّةً وهو جامد لا يبدي حراكًا حتى اذا انتهى الشمَّاس من رواية الآلام فبلغ الى ذكر خبر القيامـة سُمع صوتٌ عظيمٌ في اعماق الدياميس كان كهزيم الرعد او بالحري كابواق ملائكة يوم الدين فصرخوا جميعًا: هلِّلويا ! فرفع البطريق رأسهُ كأنهُ انتبه من سُبات عميق

فحينئذٍ اشار بطرس الصفا الى رجل من السامعين أن: قُمْ وأدِّ بشهادتك

فقام كهلٌ في وسط الجموع ثم جاء فانتصب من عن يمين اول اساقفة رومية واذا هو كلاوبا احد التلميذين اللذين تراءى لهما الرب في عمواس فروى شهادتهُ الحيَّة المنطبعة في صميم قلبهِ فذكر كيف رافقهما الربّ في طريق فلسطين في مساء كمانهم الحاضر وسألهما: « ما بالكما كئيبين » فصرَّحا لهُ عن علَّة حزنهما بسبب موت يسوع النبي العظيم الذي اسلمهُ الكهنة الى الموت وامر والي الرومان بصلبهِ . وكيف اردفا قائلين: « كنَّا مع ذلك نؤمل انهُ يفدي اسرائيل وها هوذا قد قُتل منذ ثلثة أيام فقُتلت معهُ كل آمالنا . على انَّ بعض النسوة قد ادهشننا لأنهنَّ بكَّرنَ الى القبر فلم يجدنَ جسدهُ فأتينَ وقلنَ انهنَّ رأينَ مظهر ملائكة قالوا انهُ قام حيًّا »

(قال) « وبقي معنا رفيقنا في الطريق يشرح لنا الكتب من موسى والانبياء

ولما بلغنا الى عمواص حيث كنّا عولنا على المبيت تظاهر كأنهُ يريد ان يسير الى مكان ابعد لكنهُ رضي بان يبيت ويأكل العشاء معنا واذا به اخذ خبزًا وباركهُ وكسرهُ وناولنا فعرفنا انهُ مخلصنا الحبيب واذ خررنا لنسجد لهُ توارى عن عياننا »

*

ففي اثر هذه الرواية صدع الكل بصوت الفرح ثانية وكرَّروا « هلّلويا » الفصحيّة في انحاء الدياميس. ثم قام الرسول وقال للجمع :

« فلنصلِّ ايها الاخوة »

قال الجمع : آمين

ثم اردف الرسول : فلنصلِّ لاجل اليهود العميان الذين لم يعرفوا المسيح إلههم. فلنصلِّ لاجل اجدادنا ثقة العهد العتيق عهد ابراهيم وموسى وداود . فلنصلِّ لاجل الامم ليتناولوا الى نور الخلاص. فلنصلِّ لاجل القيصر الروماني ولاجل اورشليم بل لاجل كل ذرّية آدم. صلّوا ايضًا أيها الاخوة كي ينجّي الرب الاله مغفرة خطيئتي. فليصلِّ بعضكم لاجل البعض ليعطيكم الله قوّةً في الايمان وثباتًا بين الاضطهادات وبسالة بإزاء الموت والاستشهاد.

وكان الحضور يؤمّنون لكل قول من اقوال رسولهم حتى قال بصوت جهور مشيرًا الى الطريق الشريف ذي الملابس الفاخرة الجالس هناك :

« صلّوا ايضًا لاجل هذا الرجل »

فحدّق تلميذ عمواص الى وجه الغريب فعرفهُ وقال متلجلجًا : هو بيلاطس نفسه فما سمع النصارى ذلك الاسم حتى أُغشي على بعض السيدات وترامى الصغار في حجور أمهاتهم وبقي الكل في حيرة واضطراب

فقام حينئذ بيلاطس واقترب من بطرس الصفا وبينما كان السكوت سائدًا على الجمع اثبت لهم أنهُ لم يقضِ على يسوع الناصري الّا على رغم منهُ اذ عرف براءتهُ وقداستهُ لكنَّ الشعب ورؤساء اليهود اضطرُّوهُ على دفع البارّ الى ايديهم لئلا يحدث شغب ضدّ رومية وقيصر. ثم اقرَّ امامهم انهُ لم يذق منذ حكم على يسوع ساعةً من الراحة وان ذكرى ضعفهِ كانت تتمثَّل حيثما سار كما كان يردّد في فكره شهامة يسوع في اجوبتهِ في دارهِ اذ اعلن بكونهِ ملكًا وان لا سلطة لاحد عليهِ ان

لم يُغيّرها من فوق. وذلك ما حملهُ على ان يثبت على صليبهِ عنوانهُ « يسوع الناصري ملك اليهود » فلم يرضَ بتغييرهِ بل كان لا يزال يذكر بالعجب والاندهال تواري الميت من قبرهِ المختوم بسجل الرومان واقرار الحرس بان اليهود رشوهم ليقولوا انَّ تلاميذهُ اتوا فاخذوا جثتهُ وهم نيام. (قال) فرجائي ان يقبل تلاميذهُ عذري...

فقاطع بطرسُ بيلاطسَ وقال لهُ: لسنا هنا مجتمعين لنلعنك اذ قد سبقنا وصلينا لاجلك ولاجل كل من اشترك في القضاء على رب السماء. ويا ليت دمهُ ينزل على قلبك ليطهّرهُ ويشفي اوجاعهُ. وها نحن نتمّم هنا سرّ الرحمة والمحبة طالبين من الله ان يُنير ذهنك ويرشدك الى طريق الخلاص

قال هذا ثم تقرَّب من الاسقف شابان في ايديهما سلة خبز فطير فتناول الرسول الخبزات وباركها وكسرها وفرّقها على المؤمنين فسُمع ثالثةً صوت التهليل وجعل الحضور يتأهبون للخروج فمرّوا بقرب بيلاطس دون بغض راثين لهُ وشاكرين الله الذي ارسل اليهم في ذلك العيد المعظم شاهداً جديداً على موت الفادي وقيامتهِ

ثمَّ خرج البطريق في آخرهم بكل هدوٍ وهو غائص في لجّة الافكار لكنهُ متعطّر بروائح الزهور والبخور. فلمَّا وصل الى حيث كان ينتظرهُ سكستوس وعبيدهُ امتطى جوادهُ ودخل رومية ساكتاً واجماً دون ان يجيب كلمةً على اسئلة اصحابهِ وكأنَّ حزنهُ كان قد ازداد ورأسهُ قد تثاقل فانحنى على صدرهِ مفكراً في اثمهِ لاعناً اولئك الذين الجأوهُ الى تضحية ذمتهِ مترقعاً للعقاب الآجل الذي طلبهُ بنو اسرائيل على ذريتهم في محكمتهِ صارخين: ليكن دمهُ علينا وعلى اولادنا...

(راجع في المشرق ١ : ٣٦٩ مقالتنا عن بيلاطس وما ورد عنهُ في التاريخ)

الخلاصة الماسونيّة

خطاب القاه الاب لويس شيخو اليسوعي في نادي كليَّة القديس يوسف
وكانت تتخلّلهُ التصاوير بالانوار الكهربائيَّة

قدَّم الخطيب على كلامهِ قولهُ بانَّ الغاية من خطابهِ ليست الطعن في احد او الانتقاص من قدر احد اذ يتحاشى كلَّ الشخصيَّات مع علمهِ بانَّ اكثر الداخلين في الماسونيَّة لا يعرفون من

الشيعة غير قدرها وانَّما مقصودهُ البحث عن الماسونيّة نظريًا وتاريخيًا مستندًا الى اصدق البراهين واوثق المصادر التي لا يأباها الماسون انفسهم

أيها السادة

ليس بعد اعتقادِ وجود الله عزَّ وجلَّ والاقرار بقدرتهِ تعالى كخالق عالمنا هذا العجيب ومكوّن ما فيهِ من الكائنات المتنوّعة امرٌ يستحقّ اعتبار العقلاء كهذه الهيئة البشريّة التي ركّبها الله على نظام يذهل العقل ويَسحر الجنان فترى فيها الرئيس والمرؤوس الكبير والصغير الرفيع والوضيع وكلّهم مرتبطون بروابط وثيقة عقدتها الطبيعة نفسها فلا تحلّها يد اثيمة الَّا ارتكبت في حقّ الكون جناية قبيحة ينعكس صداها في كلّ المجتمع الانسانيّ

على انَّ من سرَّح نظره في تاريخ الدول منذ نحو قرن ونصف وجد انَّ احوالها قد اختلفت اختلافًا عظيمًا ان لم نقل انَّها انقلبت ظهرًا لبطن ورأسًا لذنب. كان يسوس الأمم ملوكٌ ذوو جاه وعزّ وسلطان اذا عرضناهم على من سبقهم من الملوك لا نجد فيهم من سوء معاملة شعوبهم ما يجعلهم في طبقةٍ ادنى من سواهم. فانَّ سُلالة بوربون الكاثوليكيّة كانت مالكة في معظم الممالك اللاتينيّة. بعد لويس الرابع عشر المعروف بالكبير قام لويس الخامس عشر الذي مع ضعفهِ عن تدبير الامور كان رفيقًا بالشعب ساعيًا بصوالح رعاياه ثم خلفهُ لويس السادس عشر الملقَّب بابي الشعب. كانت اسبانية لا تزال في مقام رفيع في عهد ملوكها فرديننذ الخامس ثم فرديننذ السادس ثم كرلوس الثالث. كانت پولونية تعتزّ بملكها اوغستوس الثالث والبرتغال بيوحنَّا الخامس. امَّا النمسة فوجدت في ملكتها مريم تريزا امرأة عاقلة ذات همّة وحزم ومدارك واسعة اكسبتها شرفًا وعظمة في اعين الملوك وحبًّا في قلوب المواطنين

فما كان ذوو العقول الثاقبة ليظنُّوا انَّ تلك الدول العظمى والممالك الجليلة قائمة على شفيرٍ هارٍ سوف تُصبح بعد قليل خرابًا ودمارًا

وكذلك رؤساء الدين كانوا معزَّزين مكرَّمين يُسمع كلامهم ويُصغى الى

اوامرهم. ولا نخالهم اتوا من الاستبداد والظلم ما اوجب النفور منهم او اثار عليهم البغضاء. كفى بذكر الاحبار الرومانيين الاجلّاء بندكتوس الثالث عشر والرابع عشر ثم اقليميس الثاني عشر والثالث عشر وكلّهم رجال فضل عميم لا يؤخذون بلومة لائم. ومع ذلك شُنّت في عهدهم على الدين غارة شعواء كادت تطمس آثاره لو كان الدين مشروعاً بشريًّا

فللعاقل بعد هذا الطوفان العرمرمي الذي اوشك ان يغمر الدنيا ان يتساءل ما هو سبب هذه الطامّة العظمى وما هي علّة هذه الشرور الفادحة التي لا تزال حتى الآن تشعر بعواقبها السيئة حتى اصبح العالم كسكران لا يثبت على قدم؟ أفنحمل ذلك على سبيل الصدفة او نقول انهُ وقع شذوذ في الكون فصدر معلول بلا علّة؟

كلّا فانّ في العالم الادبي كما في العالم الهيولي من المستحيل ان يكون مسبَّب بلا سَبَب وان يحدث امرٌ ما دون مقدّمات وسوابق تُفضي به الى الوجود. ولا بدَّ ان يكون بين العلّة والمعلول علائق غير منفصمة بحيث يصحّ القول بانّ المعلول نجم عن العلة كما تنجم الثمرة عن الزهرة والزهرة عن برعومها

والحقُّ يقال أنّنا لا نجد تعليلًا وافياً لهذه الحوادث المستجدّة منذ الثورة الفرنسويّة والسنين التي سبقتها قليلًا الّا في شيعة كانت نشأت قبل ستين سنة في ظلّ الدولة الانكليزيّة فتسرّبت منها الى سائر انحاء اوربّة ولم تزل تقوى وتشتدّ بكل الوسائل التي في وسعها مهما كانت اثيمةً حتى انفجر يوماً بركانها بالثورة الفرنسويّة ثم تبعتها الثورة الاوربيّة العامّة والبركان لا يزال في سعيرهِ حتى اليوم وقد القى بحممهِ مؤخرًا في دولة البرتغال كما في الدولة التركيّة وهو اليوم يتهدّد الصين والشرق الاقصى بعد خمودهِ الوفاً من السنين

فكلكم سادتي قد سمّيتم الشيعة الماسونيّة وعليها يُلقي الرأي العام تبعة تلك الحوادث الهائلة. أفيا تُرى ليست هذه تهمةً باطلة والاصحّ ان يقال انّ الماسونيّة بريئة ممّا يُنسب اليها من الفظائع ويتجنّون عليها من المآثم التي لا اصل لها غير الاوهام الفارغة ومخيّلة بعض المتعصّبين؟ . فدعونا ان نتحرّى البحث في الامر شأن المؤرخ المجرّد من كل غرض الذي لا يستند في قولهِ الى غير الاسانيد الراهنة ولا يروي الّا ما لا سبيل الى انكارهِ

فخطابنا في هذا المساء يتناول الماسونيّة اولاً في كُنهها ثم في غايتها ثم في الوسائل التي تتوسّل بها لادراك تلك الغاية ثم في اصلها وتاريخها واخيراً نتيجة اعمالها الى يومنا هذا

١ كُنه الماسونيّة

اوّل سؤال يجب على كل عاقل ان يلقيهُ على الماسونيّة ان تعرّفنا بذاتها وتبيّن لنا حقيقة امرها. يخبر الانجيل الكريم عن يوحنا المعمدان انهُ لمّا ظهر في عبر الاردن وجعل يكرز بمعموديّة التوبة ويعمّد ارسل اليه اليهود كهنةً ولاويين ليسألوهُ: من أنت ماذا تقول عن نفسك لنردّ الجواب على الذين ارسلونا؟. تعرفون سادتي جواب يوحنّا الملوء حكمةً وتواضعاً

فاليوم نحن ايضاً نسأل اصحاب الشيعة الماسونيّة: من انتم ماذا تقولون عن نفسكم وعن جمعيّتكم؟. فلنسمع ما كتبهُ في هذا الصدد ارباب الشيعة في مصر وبلاد الشام لنسبر غورهُ ونعرضهُ على ما كتبهُ الماسون في تآليفهم الرسميّة. وهاك آخر ما ورد من ذلك في كتاب طبع سنة ١٩١٠ في مصر عنوانهُ «ما هي الماسونية ومن هو الماسوني» تأليف محمّد سعيد المراغي الحاصل على الدرجة ١٨ قال (ص ١٤):

«الماسونيّة طريقة انسانيّة يراد بها جمع شمل العناصر البشريّة ضمن سياج الانسان الكلّي الاحترام. والماسوني هو العامل على تحقيق هذه الطريقة وتدعيمها. والماسونيّة باعتبارها وتعريفها المار ذكرهُ تقوم على اركان ثلاثة وهي الحريّة والاخاء والمساواة». ثم يردّد الكاتب هذا التعريف على طرائق مختلفة لا تزيدهُ ايضاحاً كقولهِ: «انّ الماسونيّة هي العمل الصحيح الخاص في توحيد الشعوب البشرية وضمّ العناصر الانسانيّة حول شريعة الولاء العام القائم على صلة الارحام» الى ان قال (ص ١٥): «انّ وظيفة الماسوني هي جمع العناصر البشريّة ضمن سياج الانسان الذي هو الهيولي لحقائق النشأة الصالحة» كذا بحرفهِ. ثم قال ايضاً (ص ١٦): «الماسونيّة هي الطريقة الملحة في ايصال حقوق الرحم الانساني وتوحيد الشعوب البشريّة وجمع شمل عناصرها ضمن سياج الآدميّة الموقّرة» وكل ما هناك يضرب على هذا الطنبور

فلنستفتِ غيره ُ املنا نستفيد منهُ ما يروي غليلنا في معرفة الماسونيّة. اسمعوا احد رؤساء الماسونيّة وجهابذتها الكبار في بلادنا شاهين بك مكاريوس صاحب التآليف المتعدّدة ومنشئ عدّة محافل وعضو شرف لغيرها والراقي الى قمة درجاتها اي الدرجة ٣٣ قال في كتابهِ المعنون بالآداب الماسونية ما حرفهُ (ص ٨) :

« الماسونيّة جمعيّة غرضها حمل الناس على ان يحبّ بعضهم بعضاً وان يتّبعوا الحكمة والفضيلة والتمسك بالآداب وممارسة عمل الخير. ولها مبدآن اساسيّان حرّية الضمير والتكافل البشري . . . ولذلك قد احبّها كل صاحب فضل بين الانام ولم يَعِبْها الّا من يجهل كنهها او من في عينهِ رَمَد او في قلبه عمهٌ فلا يحتمل رؤية نور الفضيلة » كذا بحرفهِ. ونحن نسأل الله ان يزيل عن عيوننا ذلك الرمد وعن قلوبنا ذلك العَمَه لنحتمل هذا النور الباهر الذي لا تطيقهُ ابصارنا

وعاد شاهين بك الى تعريف الماسونية في كتبهِ العديدة ولم يستقرّ فيها على رأي بل تقلّب فيها تقلبات مختلفة. قال في كتابهِ الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة (ص ٦) : « الماسونيّة جمعيّة ادبيّة خيريّة تحوي نخبة افاضل الرجال على اختلاف نحلهم ومللهم وتباين نزعاتهم وآرائهم ». ومما قالهُ هناك انها لا تقبل « مَن لا يعتقد بالله تعالى ولا يؤمن بخلود النفس ومن لا يطيع حكومتهُ ولا يخضع لشرائعها » وغير ذلك مما سترى كذبهُ

وقال في محل آخر من كتابهِ المذكور (ص ٩) : « الماسونيّة جمعيّة ادبيّة اخذت على عاتقها خدمة الانسانيّة وعضد الدين بادبيّاتها واصلاح الشعوب وتنوير الاذهان »

وافادنا في كتابهِ الحقائق الاصليّة في تاريخ الماسونيّة العمليّة (ص ١٧) ان « غايتها ابطال الغايات والتحزّب في الاديان والاشكال والحِرَف والمراكز والآراء الوطنيّة وملاشاة الاحقاد . . . لتجعل العالم كلهُ عائلة واحدة لا فرق بين اعضائها ولا انفصال ». وقال هناك ان من شأنها « ان تصلح ما فسد من عقائد الاديان بتعليمها المحبة » كذا

امّا الدستور الماسونيّ المطبوع في بيروت سنة ١٨٨١ فانهُ عرّب الدستور الماسوني الفرنساوي فقال (ص ٦) : « الفراماسونيّة طريقة غرضها الذاتي محبة الانسانيّة

والحكمة والفلاح وموضوعها ابتغاء الحقيقة ودراسة كليّات الأدب والعلوم والصنائع وممارسة عمل الخير »

فترى من هذه التعريفات انَّ الماسونيَّة مرتبكة متذبذبة في بيان حالها فيروي عنها الواحد ما يسكت عنهُ الآخر فتارة يقولون انَّها جميَّة خيريَّة وتارةً انَّ غايتهـا نشر العلوم ونفي الجهل الى غير ذلك من الغايات الشريفة فكفى بهذا الاضطراب دليلاً على ان الماسون لا يعلمون كيف يعرّفون جماعتهم فلذلك يمون بتبييض الجارية السوداء فيلبسون اليها كل خير . افترضى باقوالهم دون رويَّة وتخدع على اوصافهم بلا تمييز (وكما تقول العامَّة على العميانة) ؟

هيهات ان نسلّم لهم بمزاعمهم ما لم يثبتوا اقوالهم بالبرهان . واول ما يريبنا من امر الماسونيَّة انَّها تحتجب عن اعين الناس وتتستر في زوايا الظلمات . لا تجتمع اعضاؤها الَّا في الليل الدامس وفي بيوت يحصنونها بالحرَّاس فلا يدخل الَّا من عرف كلمة الجواز السريَّة واذا دخلوا كسوا بكل حرص ما يدور بينهم من الاحاديث وان سألهم اعزُّ اصدقائهم عمَّا يجري في اجتماعاتهم الخفيَّة خرسوا عن الجواب واستحلفوه الَّا يطالبهم بذلك وذكّروهُ بالاقسام المحرَّجة التي حلفوهُ بهـا يوم انضوائهِ الى الشيعة بانَّهُ « اذا باح الى احد بهذه الاسرار يُرضى بقطع عنقهِ واستئصال لسانهِ وتعليق جثتهِ في محفل ماسوني ليضحي عبرة للداخلين »

- فيا للهِ أتُقنعني على انسان عاقل ان يقسم هـذه الاقسام لئلَّا يكشف عن اعمال جميَّة خيريَّة لا غاية لها كما يقولون الَّا ممارسة كل خير ؟ او يخشون انَّ بهذه الختوم ليحفظ في قلبهِ العلوم التي يدَّعي نشرها الاخوة بين عموم البشر ؟ . فهذا ما لا يمكن تصديقهُ ولا بُدَّ من القول انَّ وراء الاكمة ما وراءها

لمَّا قيد السيد المسيح في جمعة الاكلام الى دار حانان وسألهُ هـذا الحبر عن تعليمهِ لم يجد الرب جواباً أقنع للدفاع عن نفسهِ من ان يقول له : « انا كلَّمتُ العالم علانية وعلَّمت في كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث تجتمع كل اليهود ولم اتكلم بشيءٍ خفية . فلمَ تسألني . اسأل الذين سمعوا ما كلّمتهم بهِ فانَّهم يعرفون ما قلتُ »

وفي الواقع كان السيد المسيح يحضُّ تلاميذهُ على نشر مـا يسمعونهُ منهُ وهو

القائل لهم: « الذي اقولهُ لكم في الظلمة قولوه في النور والذي تسمعونهُ في الاذن اكرزوا بهِ على السطوح » وكذلك كان يحذّرهم من التستُّر والاستخفاء بقولهِ: ان كل من يعمل السيئات يُبغض النور ولا يُقبل الى النور لئلَّا تُفضح اعمالهُ واماً الذي يعمل الحقَّ فانهُ يُقبل الى النور لكي تُظهَر اعمالهُ لانها مصنوعة في الله ». وكأَن الرب سبق ورذل الماسونيَّة بقولهِ « انهم احبوا الظلمة على النور لانَّ اعمالهم كانت شريرة »

وما نقولهُ في الديانة المسيحيَّة يقال في الدين الاسلامي الذي يجاهر بمعتقداتهِ ولا يخفيها عن البشر. وكذلك تعاليم الدين اليهودي المضمونة في اسفار موسى والانبياء ليس فيها شيء يُستحيا منهُ فيُحجَب عن الابصار

وكأني اسمع هنا صوت بعض كتبة الماسونيَّة الذين يعترضون عليَّ بقولهم: اليس للجزويت تعاليمهم السريَّة فما بالك تبكّت الشيعة الماسونيَّة على اخفاء اسرارها

سادتي ان هـذا الاعتراض قد لاذ بهِ بعض اعداء رهبانيتنا الذين نشروا في بيروت كريسةً تحت اسم « اسرار الجزويت الخفيَّة » وهو كتاب وضعهُ احد المنافقين قبل مائتي سنة تقلّد فيهِ قوانين منشئنا القديس اغناطيوس المقدَّسة فنسب الينا فيه ضروب الرياء. على ان الكرسي الرسولي وجميع اساقفة اوربَّة لمَّا ظهر هذا الكتاب غفلًا من اسم مزوّرهِ ضربوه بالحرم ودافعوا عن شرف رهبانيتنا بل رذلتهُ حكومتنا السنيَّة لمَّا عُرِّب وطُبع سرًّا. وقد شارطنا احد الكتبة المصريين الذين قرّفونا بهذا التأليف انّا ندفع لهُ عشرة آلاف فرنك اذا امكنهُ ان يثبت لاحد اليسوعيين تأليف هذا الكتاب وان لم يمكنهُ اشترطنا عليهِ دفع مئة فرنك فقط لاحد المستشفيات. فافحمناهُ بذلك الرهان

ومثل هـذا في العام الماضي قد قام كل الاكليروس وجمهور العقلاء فبيّنوا ان رواية اليهودي التائه التي مثلها الماسون لتكاية جمعيَّتنا ليس فيهِ حرف واحد ينطبق على اعمالنا او تعاليمنا. ومن اراد زيادة بيان فليراجع « كتاب معرض الافكار في رواية اليهودي التائه » الذي نشره احد ادبائنا

فاين الرهبانيَّة اليسوعيَّة والتستُّر. فهذه كنائسنا مفتوحة لكل المؤمنين وهـذه مدارسنا يقصدها كل الدارسين وهم يعيشون معنا ليلًا مع نهار. وهذه جمعيَّتنا يدخلها

من يشاء. وربما خرج منها من دخلها فهيهات ان يقوم واحد منهم فيأخذ على رهبانيتنا عملاً سيئاً. وكم فُتحت مكاتبنا وضُبطت اوراقنا الخصوصيّة كما فعلوا مؤخرًا في البرتغال فما امكنهم ان يجدوا بينها ما تُستنشق منهُ رائحة السرّ المكتوم

ويُردف صاحب تاريخ الماسونيّة العامّ جرجي افندي زيدان (ص ٢٤): « انّ الديانة المسيحيّة لم تتأيد دعوتها الّا بما اتّبعتهُ من طرق التعليم السري فقد كانت في بادئ نشأتها اشبه باحدى الجمعيات السريّة ولم تكن تسلّم اسرارها الّا لمن يطلبها ويبرهن على شدة رغبتهِ في الحصول عليها »

فنجيب المعترض قائلين: « قد وهمت يا جناب الافندي واسأت الظنّ في الديانة المسيحيّة ، فشتّان بين اسرار الدين المسيحي وبين اسرار الماسونيّة وشتّان بين خمر وخلّ. ان اسرار الدين المسيحي قد وضعت للحياة واسراركم وُضعت للموت. لم تقبل الكنيسة بين اولادها احدًا ما لم يكن وقف على تعاليمها لا لكون هذه التعاليم هي خفيّة بل لانها تفوق ادراك الموعوظين فاذا عرضتها عليهم توًّا دون استعداد أُغلقت عليهم معانيها السامية وقد اوصى الرب بان لا « نُعطي القدس للكلاب ولا نلقي جواهرنا قدام الخنازير لئلّا تدوسها بارجلها ». وهذا الفعل تجري الكنيسة عليهِ حتى اليوم في كل بلاد الوثنيين الذين لا يُصبغون بالعماد الّا بعد الارشادات والتعليم التوالي. وكان الامر امسّ واحوج في اوائل الكنيسة حيث كان الوثنيون يضطهدون الدين المسيحي ويقودون الى العذاب والموت مَن لم يعبد اصنامهم او يعلّم ما يخالف خرافاتهم وارجاسهم. فكانت الفطنة تقضي على المسيحيين بألّا يعرّضوا بنفوسهم الى الاخطار دون داعٍ ومع ذلك كانوا اذا طالبوهم بدينهم امام الحكام جاهروا بمعتقدهم دون خجل. افتُل هذه هي اسرار الماسونيّة ؟

ثمّ ان للماسونيّة طقوساً ورتباً وازياء غريبة ولَمسات وخطوات واشارات وطرقات وتهويلات في درجاتها المديدة من الدرجة الاولى الى الدرجة الثلاث والثلاثين. فناشدتك الله ايّ علاقة بين كل هذه الطقوس وبين الغايات التي تدّعيها الشيعة وهي على قولها جمعيّة خيريّة فما الحاجة الى كل هذه الطقوس ؟. نعم اذا صلى الكاهن او اقام رتبة دينيّة لبس لذلك حللًا مختصة بها وانما الماسونيّة ليست جمعيّة دينيّة

وان قالوا هذه وسامات شرفيّة اجبنا ان الاوسمة الشرفيّة يعطيها من لهُ في

الدول الحق في منحها والماسونيَّة تدَّعي أنها ليست جمعيَّة سياسيَّة فكيف تخوّل هذه الامتيازات. وزد عليه ان كثيرًا من هذه الاوسمة ترمز الى خصام وقتال وترهيب وتهديد كالخناجر والحِراب والسيوف والمطارق والجماجم والحصون والابراج. واذا وُجدت فيها نقوش اخرى اشاروا بها الى معانٍ لا علاقة لها مع ظواهرها كخلايا النحل والصلبان وعامودي جاكين وبُعوز والشمس والقمر والنجوم وألسنة النار وكلها رموز شرحها المتولعون بالماسونيَّة شروحًا بعيدة عمَّا يتبادر الى الظنّ فيها بل عن كل غاية خيريَّة وادبية تقتصر على قولهم الى نفي الدين والادب وتعظيم قوى الطبيعة البهيميَّة وغير ذلك ممَّا يندى له الجبين خجلًا

ثم يصحب تخويل هذه الاوسمة والشارات الماسونيَّة اسئلة واجوبة وتعاليم ووصايا لا تنطبق البتة مع الغايات الدعاة اي عمل خير ونشر المعارف

وإن قيل انَّ في الكنيسة ايضًا مثل هذه المذاكرات والرتب اجبنا ان الرتب الكنائسيَّة ووصاياها وتعاليمها كلها جليلة تقويَّة خشوعيَّة وضعها اعظم الرجال عقلًا واوسعهم فضلًا واعرقهم قداسة استقوها كلها من موارد الاسفار المقدَّسة او التقاليد الرسوليَّة. وهي في الغالب ادعية ترفع القلب الى الله ومذاكرات تطبع في عقله عظمة الخالق وتذكَّره بالثواب وتنذره بالعقاب وتستعطر له النعم من خالقه وتستغفر عن آثامه فاين كل ذلك من رتب الماسونيَّة التي هي عادةً فصول هزليَّة لا يستطيع سماعها الرجل العاقل الَّا ازدرى باصحابها واستغرب ضحكًا من خفَّة عقولهم. ولو وكَّلنا الى بعض المسلمين ان يشخصوا امامكم دورًا واحدًا من هذه الخزعبلات لرأيتم سخافة عقول من يمارسها. وقد اثبتنا منها بعض الفصول في كتاب السرّ المصون مع قسم من التصاوير الماسونية المختصة بالدرجات الاولى وصورة محفل مع حلله وعموديه السرّيين وباطن الهيكل وما فيه من النقوش الرمزيَّة والتعليمات السريَّة الملقاة على الطالب الى غير ذلك

وفي تكريس طالب الماسونيَّة عدَّة امتحانات يدعونها بالسياحات فيعرضونهُ لمخاطر وهميَّة فتارةً يرمون به في الهالك وتارة يصعدون به سلَّمًا درجاتهُ غير ثابتة وحينًا يُشعرونهُ على صدره المعرَّى بنصل السيف او يوهمونهُ بفصد عروقه وطورًا يدخلونهُ غُرفًا مظلمة فيها العبارات التهويليَّة بينها هياكل موتى وغير ذلك مما يؤثر في مخيلة

الطالب ليعرف نفوذ الماسونيَّة وسلطتها عليهِ. وقد اكد لنا احد اصحابنا الدمشقيين انهُ عرف في وطنهِ احد اعيان النصارى الذي طلب الدخول في الماسونيَّة فلمَّا فُرضت عليهِ المحن المذكورة تأثَّر منها اي تأثير فبصق الدم ومات بعد ١٥ يوماً.

افترون ايها السادة ان الماسونيَّة التي اخترعت هذه الامتحانات هي جمعيَّة خيريَّة او جمعيَّة ادبيَّة او ليست هي بالاحرى سليلة ذلك الذي قال عنهُ السيد المسيح " انهُ قتَّال الناس منذ البدء. وانَّهُ كذوب " وابو الكذب (يوحنا ٨ : ٤٤)

ولو تتبَّعنا بعد ذلك تكريس الداخل في درجة الرفيق ثم في درجة الاستاذ لزدنا تحقُّقاً بانَّ الماسونيَّة ليست جمعية خيرية ولا جمعية ادبية وعلمية وانَّا هي جمعية عملية لا تبغي في شيء خير الانسانية فانها لو قصدت ذلك لما اتخذت هذه الوسائل التي تبعد عن غايتها المزعومة مناط الثريا. فان امتحانات درجة الاستاذ تمثل قتل رجل وهميّ يدعوهُ الماسون حيرام ويزعمون انَّهم دُعوا لينتقموا لهُ وهناك فصل هزلي يضحك الثكلى كأنَّا نودُّ لو تقوم جوقة بتشخيص ادوارهِ لسمتم قصة ذلك القتيل المضحك ورأيتم حزن الماسون عليهِ وعاينتم حركاتهم وخزعبلاتهم حول تابوتهِ الى ان يقيموا احد الاخوة الشجع فيهِ ويُلقوا بدلًا منهُ طالب درجة الاستاذ ليذوق في ذلك التابوت طعم الموت بل ليتأكد انهُ صار في ايدي الماسونية كجثة ميتة يتلاعبون فيها كيف شاؤوا

فيا ليت شعري ايوجد في العالم جمعية خيريَّة تفرض على اعضائها مثل هذه الامتحانات لتمتحن قلوبهم على الساكين ؟ او يوجد جمعية علمية تكشف غوامض علومها على طالبيها بعد ان تطلب منهم الخضوع لمثل هذه الطقوس ؟ او ليس الاحرى بنا ان نقول ان الشيمة تكمنُ في صدورها غير ما تظهر وانها تراءي في اعمالها وتخدع الاغرار لتوقعهم في حبائلها

وانَّا هذا يظهر من درجات الماسونية الثلاث الاولى فكم كانت غايتها السيئة تلوح لنا بجلى اوضح وصورة ابدع لو تتبَّعنا بقية درجاتها حتى فصل الى الدرجة الثالثة والثلاثين ورأينا كيف تُحرب اصحابها كاس سنها نقطةً نقطة حتى يتخلَّق الماسوني باخلاقها ويتشرَّب روحها ويحيا بحياتها. وفي ما قلنا كفاية لاثبات قولنا ان الماسونيَّة ليست جمعيَّة خيريَّة ولا طائفة علميَّة

وزد على ذلك ان بين ايدينا قوانينها المطبوعة في باريس سنة ١٨٩٣ ودستورها المطبوع في بيروت سنة ١٨٨١ والنظامات العموميّة للطريقة الاسكتلنديّة المترجمة الى العربيّة بقلم «كلي الحكمة الياس بك منّى» المطبوعة في مصر سنة ١٨٩٠ ولا نجد في كل موادها ما يُستفاد منهُ انها تريد عمل الخير الّا بعض صدقات تخصُّها بذويها المتكوبين وليس لها في ذلك فضل كبيرٌ لانها بعملها تخدم صوالحها ليس الّا

كما انّنا لا نعرف للماسونيّة في انحاء الشام ومصر مشروعاً واحداً خيريّاً تقوم بهِ او بنفقاتهِ. وقد ارادت احدى مجلات بيروت (الكوثر ١ : ١٧٣) ان تردَّ علينا في ذلك فزعمت ان الماسونيّة عضدت في بيروت مشروع المستشفى التدرُّني لتخفيف ويلات المصابين بهذا الداء. فالقينا السوال على كل من امكنهُ ان يفيدنا شيئاً عن هذا المشروع لنثني عليهِ فكان الجواب الاخير ان بعض الماسون فكّروا في هذا الامر لكنّ فكرهم بقي في حيّز النويّات. أفيقاس حلم النائم مع ما نراه من المشرات بل المئات من الجمعيات الخيرية الدينيّة والمستشفيات والمياتم والمستوصفات ودور العجزة في كل مدينة من مدن الشرق التي يقوم بها الرهبان والراهبات واهل الخير من الملاتيين. واذا قصرنا النظر الى بيروت وحدها لا نجد فيها حيّاً خالياً من مثل هذه المشروعات الجليلة. ومن منّا لا يعرف جمعيّة مار منصور دي بول واعضاءها الشفوقين على كل ذوي البأساء يعودونهم في اكواخهم ويسدُّون حاجاتهم ما امكنهم؟ واي امّ تقوم بمساعدة المرضى قيام راهبات المحبة اللواتي مات ثلاث منهنّ في سبيل المطعونين من عهد قريب. وقد رأينا يوم عيد مار يوسف الاخير عدداً من شبّان كليّتنا يتسابقون في خدمة العجزة على مائدةٍ اعدُّوها لهم على نفقتهم. فلتقم الماسونية وتذكر لنا قيراطاً من هذه الاعمال الخيرية وان ارادت اثبتنا لها انها العدوَّة الالدّ لهذه المشروعات تلاشيها حيثما يتربع ذووها في دست السلطة كما فعلت في فرنسة حيث اقفلت عدداً عديداً من مستشفيات الراهبات او سلّمتها لايدي عمّالها فما لبثت حتى صارت في اسوأ الحالات حتى ان الاطبَّاء الماديين للذين انفسهم اخذوا يقدمون المعاريض لارباب الامر لاسترجاع الرهبان والراهبات. وقد تمكنت بلدية مرسيلية من اعادة مستشفى المجانين لرهبان مار يوحنا الالهي. وفي انباء البرتغال الاخيرة ان خمسين الفاً من المرضى والفقراء الذين كان يأويهم الرهبان ويعولونهم اصبحوا بفضل الحكم

الماسوني معرَّضين لآفات يرون الموت بازائها نعمةً وراحة بعد ان اقفل الماسون جبرًا المآوي والملاجئ التي كان ارباب الدين فتحوها لتلطيف اوجاعهم كما افادنا الدكتور سغران ايكار ان عشرة في المئة صاروا يدفنون في المستشفيات العلمانية في باريس قبل موتهم الطبيعي ومنهم من سُلِّمت جثته للمشرحين فانتهبوا من سباتهم تحت مبضعهم

فكل هذه الشواهد لا تُبقي ريباً في ان الماسونيّة ليست بجمعية خيريّة وكما لا اثر لاعمالها المبرورة كذلك ليس من اثر لمعاهدها العلمية فانّ لدينا مجموعاً وسيماً يُدعى منرڤا (MINERVA) يحتوي وصف كل الكليات والمدارس الكبرى والمراصد الفلكية التي في العالم فلم يُذكر هناك معهد واحد علمي تقوم به الماسونية ولا نعدّ منها تلك المدارس العلمانيّة المنافية للدين التي تعضدها الماسونيّة لأنها لا تنفق عليها من ماليتها بل من مالية الدولة فهي كرّة بال غيرها

٢ حقيقة الماسونية وغايتها الصحيحة

فكيف نعرف اذن الماسونية بعد ان جرَّدناها عن اثوابها المستعارة ؟ انّ اقرب ما يقال عنها الى الحقيقة انها عسكر وجيش منتظم

والجيش كما لا يخفى يتركب من قوّاد وضباط وجنود في درجات متوالية كسلسلة تتصل حلقاتها بعضها ببعض فينتقل الاسفل الى الاوسط والاوسط الى الاعلى على سياق محكم تقوم به قوّة الجيش . وللجيش ازياؤه وشاراته وامتيازات طبقاته والسلحة . وله التمرينات التي ترشده الى فنّ الحرب ومعرفة ضروب الهجوم والدفاع وكافة الحركات العسكرية وبذلك تتمّ اهبته لحراسة الوطن ولردّ غارات الاعداء.

فالماسونية على هذا المثل تتركب من رؤساء كبار ورؤساء ثانويين واساتذة ورفقاء وطلبة . ولكل طبقة منهم زيّها وميزاتها من اوسمة ووشاحات ومآزر . يتعارفون بكلمات سريّة كالجنود ولهم اشارات معلومة يعرف بها الماسوني رصيفهُ بين كثيرين وفي وسط جماعات الاجانب . ولهم ايضاً تمارينهم فيخطون الخطوات المنظّمة على هندام مقرّر . ولهم كما رأيت سيوفهم ورماحهم وخناجرهم

فيا ترى لمن أعدّ هذا الجيش واي عدوّ يحارب هؤلاء الجند ماذا يودون بتجريد سيوفهم وتقلُّد سلاحهم ؟ بديهي انهم لا يدافعون عن الوطن اذ الوطن لم يكلّفهم بالدفاع عنهُ . فعلى من اذن يشنُّون الغارة ؟ يدعون انفسهم بالبنّائين الاحرار فما هو البناء

الذي يحاول هؤلاء البناة بتشييدهِ واعدّوا لهُ مآزرهم وبيكاراتهم ومثلثاتهم وزواياهم وشواقلهم . يقولون انَّ بناءهم رمزيّ فما معنى ذلك ؟ يريدون (على قولهم) « جمع شمل العناصر البشريَّة ضمن سياج الانسان » فغايتهم اذن اصلاح الهيئة الاجتماعيَّة . فما هو هذا الاصلاح الذي يحتاج اليهِ المجتمع الانساني لينتدب الماسون انفسهم للقيام بهِ

تعلمون سادتي ان للهيئة الاجتماعية نواميس ثابتة كتبها الله في قلوب البشر او اوحى بها على لسان اوليائهِ لا يجوز لهم ان يحيدوا عنها اذ عليها قد توطّدت دعائم أُلفتهم

وهذه النواميس مرجعها الى رُكنَين متينَين اذا تداعيا سقط معهما بناء الهيئة الاجتماعية وهما السلطة المدنية والدينيَّة فلا تجد حيثما سرت وايَّ بلادٍ حللت شعباً الَّا استند اليهما حتى ولو كان في اوطى درجات المدنية . نعم ان هذه السلطة تختلف هيئاتها فتكون ملكيَّةً مطلقة او تكون ملكيَّةً مقيَّدة او جماعة شيوخ واعيان او جمهوريَّةً الَّا ان السلطة ثابتة على ايَّة هيئة كانت . وكذلك الدين يمكنهُ ان يكون طبيعيًّا فقط اي منحصرًا في بعض المعتقدات البسيطة التي يُرشدنا العقل الى معرفتها كوجود إله او آلهة او على الاقل وجود ارواح تنوط بها الطبيعة . وكمثل اعتقاد بقاء النفس بعد الموت ومُجازاتها على حسب اعمالها . ويمكن هذا الدين ان يكون اوسع واكمل مما بلّغ الله عقائدهُ الى البشر على يد انبيائهِ بالوحي . ومهما كان من امرهِ لا بُدَّ من التسليم انهُ لا يُعرَف حتى اليوم شعبٌ عاش بلا دين . فنطلب من الماسونيَّة ان تُعرّفنا ايًّا من هذين الركنين جاءت تؤيّدهُ باصلاحها . فلنتصفَّح تاريخها ونزِن تعاليمها عن تينك السلطتين المدنيَّة والدينيَّة وتصرُّفها بازائهما

ولنبدأ « بالسلطة الدينيَّة » فنقول : انهُ من المعلوم المقرَّر انَّ اولئك الفلاسفة المزعومين الذين ظهروا في فرنسة وغيرها من البلاد في اواسط القرن الثامن عشر رموا كلَّ وحي بل كلَّ دين بمجانيقهم وشحنوا كتبهم اقوالًا كفريَّة انكروا فيها وجود الخالق وأيَّدوا قدم العالم ورفعوا قوَّات الطبيعة وزعموا ان السلطة الدينيَّة انما اولدتها شعوذةُ الكهنة وارباب الدين املًا بالارباح الخسيسة وتنفيذًا لسطوتهم واستبدادهم . ثمَّ زرعوا هذه السفاسف في عقول الاغرار بالمذاكرات والتآليف الرائجة

السوق والخطب والمراسح ولاسيا في دائرتهم العلميَّة المعروفة بالانسيكلوبيذيا فكان ما كان من إضعاف روح الدين في قلوب معاصريهم وكادوا يفوزون بالمرام لولا انَّ الله لا يغلبه بشرٌ

وقد ثبت اليوم بالشواهد المتعدّدة انَّ اولئك الفلاسفة كڤولتير وروسّو وديدرو ودالمبرت وفردريك الثاني ملك بروسية كانوا كلُّهم من اشياع الماسونيَّة يعدُّون في محافلهم تلك الاسلحة القتَّالة التي حاربوا بها الدين من اكاذيب وتشنيعات وضروب الهزء والسخريَّة. اسمعوا احد كبار المسلمين في عصرنا الذي عرف الماسونيَّة وبرحها بعد ان استطلع عُجرها وبُجرها. قال السيد جمال الدين الافغاني: عن اولئك الدهريين الماسون وخصَّ بالذكر الاوَّلين اي ڤولتير وروسّو

« ظهر ولتير وروسو يزعمان حماية العدل ومقاتلة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر ابيقور الكلبيّ واحييا ما بلي من عظام مذهب الدهريين ونبذا كلَّ تكليف ديني وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما انَّ الآداب الالهيَّة جعليَّاتٌ خرافيَّة كما زعما انَّ الاديان مخترعات احدثها نقص العقل الانسانيّ. وجهر كلاهما بانكار الالوهيَّة ورفع كلٌّ عقيرتهُ بالتشنيع على الانبياء، وكثيراً ما ألَّف « ولتير » من الكتب في تخطئة الانبياء والسخريَّة بهم والقدح في انسابهم وعيَّب ما جاؤوا به فاخذت هذه الاباطيل من نفوس مواطنيه ونالت من عقولهم فنبذوا الديانة العيسويَّة ونفضوا منها ايديَهم وبعد ان اغلقوا ابوابها فتحوا على انفسهم ابواب الشريعة المقدَّسة كما زعموا اي شريعة الطبيعة. وزاد بهم الهوس في بعض ايَّامهم حتى حملَ لفيفاً من عامَّتهم ان يتناولوا بنتاً من ذوات الجمال فيهم ويحملوها الى محراب الكنيسة ففعلوا ونادى القوم: أيُّها الناس لا يأخذكم الفزع بعد اليوم من هدهدة الرعد ولا التماع البرق ولا تظنُّوا شيئاً من ذلك تهديداً لكم من إله السماء. . . فهذه كلها من آثار الطبيعة . . . فحلُّوا عن اعناقكم قيود الاوهام ولا تقيموا لانفسكم إلهاً من خواطر ظنونكم فان كانت العبادة من رغائب شهواتكم فها هي « مداموزيل » قائمة في المحراب على مثال الدمية فاسجدوا لها ان شئتم » اه

ولا تظنُّوا ايها السادة انَّ هذه التعاليم كانت فلتةً من الماسونيَّة او ظهرت في

بلد واحد على السنة بعض الافراد وانما نشروها في مؤتمراتهم واعلنوا بها في جرائدهم ومجلاتهم الرسميَّة التي كانوا سابقًا يتفانون في كتمها . ولكن ليس خفيٌّ الَّا سيظهر كما قال السيد المسيح وقد قام في فرنسة والمانية وبلجكة قوم من ذوي الهمَّة استخرجوا هذه الدفائن وكشفوا اوراق الماسون السريَّة وعرضوها في معاهد عامَّية يستطيع الوقوف عليها من شاء . فهناك النشرات الماسونيَّة الرسميَّة وقراراتهم التي يطبعونها في عدد معلوم لتبقى محجوبة عن اعين العموم فترى نشرة الشرق الفرنساوي تقرّر في السنة ١٨٩٥ « ان المشيرة الماسونيَّة تأبى اعتقاد اي حقيقة دينيَّة كانت » . وترى جماعة ماسون ايطالية « يعلنون باستقلال الانسان ويقرّون ضرورة ملاشاة كل كثلكة رسميَّة » . وترى صاحب المحفل الاكبر في برلين يقرّر « بان العلم هو الاساس الوحيد لكل معتقد فهم يرفضون كل عقيدة بُنيت على اساس الوحي » وتنظر في اعمال مؤتمر بروكسل الماسوني سنة ١٨٦٦ تصريحهم « بانَّ التوراة هي مجموع خرافات واكاذيب وآراء فاسدة »

وتتناول هذه التعاليم كل الاديان على سواء . فانَّ نشرة ماسون المانية جاهرت بقولها سنة ١٨٦٦ بانَّهُ « يقتضي على الماسون ان يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالاله ايًا كان » . وجاء في كتب بردون احد زعماء الماسونيَّة « ان قال الماسون بوجود الاله ارادوا به الطبيعة وقواها المادّية فهم يجعلون الله والانسان كشيء واحد »

ومثلهُ قول ويسهوبت منشئ الماسونية النوّرة : « كل شيء هو مادّي فالله والعالم ليسا الَّا شيئًا واحدًا وجميع الديانات هي خياليَّة غير ثابتة اخترعها ذوو المطامع » . وكذلك قال ، وتقرّر مجمع هولندة الماسوني سنة ١٨٧٢ : « ان الله والانسان من جنس واحد فنحن آلهة » . بل بلغ الجنون باحدهم وهو الاخ بردون السابق ذكرهُ فقال (والعياذ بالله) ان الله هو الشرّ (Dieu c'est le mal)

وان اعترض الماسون بانهم يكرّمون « مهندس الكون الاعظم » اجاب عليهم اخوتهم انَّ هذه خدعة ماسونيَّة التجأوا اليها لئلا ينفر منهم الناس . قال رئيس المحافل الماسونيَّة الاكبر في باريس سنة ١٨٧٨ : « انَّ هذه العبارة اي مهندس الكون الاعظم لا يتألف منها ادنى مذهب فلسفي فهي توافق ذوق كل من يطلب الدخول في الماسونيَّة سواء كان مؤمنًا او ماديًّا او كافرًا » . وقال مثلهُ الاخ الكبير هايبان في

مجلة العالم الماسوني : « انّ الماسون اختاروا لهم شعارًا يمكن البشر جميعهم ان يقبلوه من جحدة الالوهيّة وناكري خلود النفس » . وقال آخر: « ان اسم مهندس الكون عندنا اسمٌ بلا مسمّى . . . فان الطبيعة هي الله »

ولا يقولنَّ الماسون انّ هذه التعاليم لا يرضى بها كل اولاد الارملة . نعم أننا نعرف ذلك لا بل قليل منهم بلغوا الى هذا التطرُّف لاسيا في بلادنا وانما كفاهم ان يكونوا اعضاء لشيعة يتفوَّه ذووها بهذه الالفاظ الكفرية او انهم يتفاخرون بكونهم اخوانهم لانّ الماسونيّة واحدة تمدُّ اشراكها في كل العالم وانَّا تتجنَّس وتتلوَّن على اهواء كل بلاد فهنا تذكر مهندس الكون كما تفعل في انكلترة واميركا وهناك تنفيه كما فعل ماسون فرنسة وايطالية وبلجكة ولسبانية والبرتغال الذين ألغوا اسم « ذاك الهندس » وجاهروا بكفرهم . وبعد ان تظاهر ماسون انكلترة واميركا بالاستياء من عملهم عادوا فسكتوا عنهم

وقد كرَّر ماسون بلادنا في كتبهم التي في ايدينا افتخارهم بكونهم من اعضاء الماسونيّة العمومية التي لا تفرق بين دين وآخر وبين كافر ومؤمن قال شاهين بك مكاريوس في كتاب الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية العملية (ص ١٧) :

« والماسونية منتشرة انتشارًا يحسدها عليه اعظم الاديان المولودة التي امتدَّت في اربعة اقطار المعمور لانَّ تلك تفرق في العالم بين الشعوب فمن عابد صنم وكافر وجاحد ومبدع ومخالف بينما ترى الماسونية فاتحة ذراعيها لقبول اولادها داعية اياهم اخوة »

وليست هذه تعاليم الماسونية في جحود الاديان نظريَّةً فقط بل تراهم حيثما فازوا بالسلطة يصوِّبون سهامهم للمذاهب فيقفلون المعابد ويجليون ارباب الدين وينفون الرهبان من بلادهم وينهون عن فتح المدارس الذهبية ويلغون من الشرائع كل ما تُشتمّ منهُ رائحة الدين ويطرُدون الراهبات باقفال مستشفياتهنَّ وملاجئهنَّ . فهم سنُّوا الزواج الدني وهم الغوا القسَم بالله في المحاكم ونفوا اسمهُ الكريم من نقودهم الدولية بل امروا بالَّا يتلفظ بهِ روساؤهم كما ترى في الجمهوريَّة الفرنساوية حيث لم يذكر الرؤساء منذ ١٨ سنة باسم الاله في خطبهم الرسميَّة كأنَّ الله لا وجود له

وقد دخل شيء من هذا الروح الكفري في بلادنا نظريًا وعمليًا

اما نظريًا فبما طُبع من بعض الكتب النافية للدين كمثل كتب امين الريحاني

المختلفة . منها الريحانيات التي بيَّنَّا في المشرق (١٣ : ٣٧٩ و ٧٠٣) ما فيها من الاقوال الكفرية الفاسدة ومنها الروايات الخلاعيَّة التي اهتمَّ بتوزيعها الماسون كاسرار رومية والمسيح في الواتيكان

واما عمليًّا فمثل الحملات التي تحامل بها الماسون او المتاقدون الى آرائهم في بيروت وزحلة وحمشيت ضدَّ ارباب الدين في هذه السنين الاخيرة بحجة الاوقاف وغير ذلك . وكما فعلوا لمَّا احتجوا على سيادة المطران مرَّةً اذ اخرج من الكنيسة الاكاليل المزدانة بالعلامات الماسونيَّة في جنازة الاخ جرجي نعمة (١ . وترى بينهم من يصوّر التصاوير الهزليَّة لبخس شأن ارباب الدين كما يفعل جرجي حدَّاد في البرازيل في جريدة الفجر فينشر الصور السمجة لمناهضة الاكليروس . ولمَّا نشبت الحرب بين ايطالية والدولة العليَّة صوَّر قداسة الحبر الاعظم مجرّدًا بيمينهِ السيف وبيدهِ اليسرى الصليب كأنَّهُ يريد محاربة جلالة السلطان وانه مثير عليه هذه الحرب باسم الصليب

وكما فعلت ايضاً الماسونية البيروتيَّة سنة ١٩٠٢ لمَّا كتبت رسالة افرنسيَّة ممضاة باسم عمدة محفل لبنان ارسلتها مع الاخ اوليفيه الى الشرق الاعظم في باريس تطلب من اعضائهِ المساعدة لطرد الرهبان من سورية (وقد رسمنا سابقاً صورتها الفوتغرافية)

﴿ السلطة المدنيَّة ﴾ وكما دكَّت الماسونيَّة السلطة الدينيَّة شنَّت الغارة ايضاً على الركن الثاني للمجتمع البشري اعني السلطة المدنيَّة . يقول بولس الرسول في رسالتهِ الى الرومانيين (١٣ : ١—٦) : « لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانَّهُ لا سلطان الَّا من الله والسلاطين الكائنة انَّما رتَّبها الله فمن يقاوم السلطان فانَّما يعاند ترتيب الله . . . افتبغي ألَّا تخاف من السلطان افعل الخير فتكون لديهِ ممدوحاً لانَّهُ خادم الله لك للخير فامَّا ان فعلتَ الشرَّ فخَفْ فانَّهُ لم يتقلَّد السيف عبثاً لانَّهُ خادم

---

١) ويا ليت سيادتهُ لم يردَّ آخرًا على « محفل نور المحبة التابع الشرق العثمانيّ الاعظم » لمَّا هنَّأهُ هذا المحفل على غيرتهِ الوطنيَّة . كما انَّنا نأسف على ما فعلهُ حديثًا السيد شحاده في زحلة لمَّا اقام جنازًا لرئيس محفل ماسوني محروم من كنيستهِ وكنيستنا ايضاً (راجع السرّ المصون في شيعة الفرمسون الكرَّاس الرابع ص ٢٢)

الله المنتقم الذي يُنفذ الغضب على من يفعل الشرّ فلذلك يلزمكم الخضوع له لا من اجل الغضب فقط بل من اجل الضمير ايضاً »

فهذا الكلام المسجدي يحتوي كل فلسفة الحقوق المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس وبين السلطان والرعيّة. فان السلطان او الرئيس قائم مقام الله وان شئت قل انهُ ظلّ الله في ارضهِ فيجب عليهِ ان يرعى شعبهُ كرسول الله والمسلّط منهُ لسياسة الرعيّة ويجب على المرؤوس ان يكرّم السلطان ويخضع لهُ في كل ما هو صالح موافق لضميرهِ. وكان السيد المسيح اختصر ذلك سابقاً بهذه الآية: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله

فترى كيف امتثلت الماسونية لامر السيد المسيح ولامر الرسول بولس: فالجواب على هذا السؤال تابعٌ لما سبق مرتبط بهِ ارتباطاً غير منفصم. فبالحقيقة اذا صحّ قول الماسونية السابق ان الدينياتِ جعليات خرافية وان الله عزّ وجلّ اسم بلا مسمّى وانهُ لا يوجد في العالم غير الطبيعة المادية فينتج عن ذلك ان السلطة الدنية لا اساس لها ثابت وانما هي ايضاً من جملة الاختراعات البشرية التي يجوز رفعُها او وضعها على حسب ارادة البشر. وكما نصبتُ اليوم زيداً ليرأس عليَّ إخلعه غداً لإقوم انا مقامهُ اذ اني انا مصدر السلطة فأعطيها من شئت او انزعها كما شئتُ ومتى شئتُ وعمّن شئتُ

وفي الواقع هكذا تعتبر الماسونية السلطة الدنيـة. قال الاخ راغون من ارقى الماسون في الدرجات في كتابهِ شرح الرموز الماسونية: " لا حقّ لاحد سواء كان ماسونيًا او لا ان يستخرج من طبيعة الانسان شرائع وتعاليم يفرض بها على البشر وكلٌ من استمان بسلطة الهٍ ايًا كان ليسنّ شرائع وتعاليم على الناس فهو كاذب وخدّاع "

ومثله روى الاخ كلافل: « ان مسعى الماسونية المظيم بان تمحي بين البشر كل تميز يفرق بينهم كشرف الاصل والاديان والمذاهب والاوطان »

ومعظم الادوات الماسونية كالمثلث والبيكار والزاوية والحجر الاصمّ تدلُّ على كسر شوكة السلطة وطحنها بحيث لا يكون في العالم لا رئيس ولا مرؤوس. اسمع كيف يشرح احد الماسون في كتاب الخلاصة الماسونيّة معنى البرجل:

انَّ للبرجل معنًى يا فتى تُصبح الافكار فيهِ حائره
سوف يغني للورى دائرةً ويصير الكلّ ضمن الدائره

اي الدائرة الماسونيَّة او المثلث الذي يضغط في زواياه كل طبقات البشر

ومن رموز الماسونيَّة في الدرجات العليا ذلك السلَّم السري الذي يشيرون بهِ الى جمعيتهم وهم ينصبونهُ على هيئة مثلثة الرؤوس كانهُ يسحقها فالرأس الاوَّل مكلَّل بالتاج البابوي يريدون بهِ السلطة الدينية والرأس الثاني عليهِ الاكليل الملكي رمز السلطة المدنيَّة والرأس الثالث في فيهِ سيفٌ اشارة الى القوَّة العسكرية. فالماسونية تدَّعي أنها مندوبة الى سحق هذه الرؤوس الثلاثة فتلاشي الدين والسلطان والعسكر وتجعل العالم كلهُ واحداً يصنع كل انسان ما شاء وكيفما شاء وحيثما شاء كهمَل الحيوانات وضواري الغابات. وقد اختصر اولئك المتطرفون تعاليمهم في حقوق الانسان نحو المجتمع البشري بهاتين الكلمتين « لا اله ولا سيد »

ولعلَّ البعض ينخدعون بصورة الصليب التي يرونها على شاراتهم الَّا انَّ المتقدمين في الماسونيَّة يعلمونها إنَّ الصليب الماسوني هو كالصليب المصري قبل المسيح يُشار بهِ الى القوى التنسليَّة والقباحات الوثنيَّة. فهذه تعاليم الماسونيَّة وهذه آدابها

وما اكتفى الماسون بهذه التعاليم النظريَّة في السلطة البشريَّة وآداب الهيئة الاجتماعيَّة بل اسرعوا الى اخراجها الى حيز الوجود فكانت اوَّل غاراتهم على ملوك البوربون الذين كانوا يملكون في كل الدول اللاتينيَّة فأحاطوهم بشايعهم وابعدوا عنهم انصارهم لاسيا الرهبانية اليسوعيَّة التي كانت تهذّب الشبيبة وتعلّمها خدمة الله والطاعة الى ممثليهِ على الارض حتى اذا رأوهم بلا سند ثلُّوا عروشهم وقتلوا البعض ونفوا البعض الآخر وسفكوا دماء الوف من الابرياء لم يكن لهم ذنب آخر غير كونهم اشرافاً او كهنة لا يرضون بجحود دينهم والتخلُّق باخلاق الاشياع السريَّة بل قتلوا حتى النساء والفقراء المتدينين. وقد بيَّن احد اساتذة باريس المسيو غوترو (Gautherot) في مذاكرات عديدة القاها في حاضرة فرنسة في هذه السنة ان الثورة الفرنسويَّة كان ضابط ازمَّتها الماسون وانَّهم هم الذين دبَّروا كل فصولها ولعبوا كافَّة ادوارها. وما كان قتلُ لويس السادس عشر سوى تنفيذ لاحد مآربهم التي كانوا اتفقوا عليها في المحافل السريَّة كما قرَّر ذلك احدهم المسمى آبل (Abel) فتاب قبل موتهِ واعلن بالامر تحت القسَم امام ابنهِ الذي دخل في الرهبانيَّة اليسوعية ونشر ذلك بموجب وصاة من والدهِ

وبعد ان ملأ الماسون فرنسة دماء وفظائع اخذوا يعمّمون الثورة في كل انحاء اوربة بواسطة جيوش الجمهورية. فمذ ذاك الحين الى اليوم لم تكد ترى دولة ثابتة فان الماسونية تنفخ حيثما تحلّ روح الثورة فكم ثُلّت من عروش وكم قلبت من دول وكم عاوضت من ملوك فتارة تستعين بالاشتراكيين وطوراً باهل الفوضى وحيناً تدعو اليها الفعلةَ والنهيلست فلو اردنا ان نتتبع تواريخ مكايدهم دولةً دولةً لا تسع بنا المجال وضاقت بنا الكتب الضخمة. وقد احصى الاخصاصيون في مدّة مئة سنة عدد الملوك او الرؤساء الذين قُتلوا بمساعي الماسونية فاذا هو ينيف على الثلاثين هذا فضلاً عن الذين انتصروا عليهم فلم يفلحوا بمكائدهم

وترى الماسون اذا قامت دولة اسرعوا في مدحها واطنبوا في محامدها وعظّموا ملكها او رئيسها فاذا استظلّوا بظلها وأمنوا نكباتها عادوا الى مكائدهم وفكّروا في تدبيرها. وهذا قد جرى لهم حتى مع الملوك والرؤساء الذين كانوا من اعضاء الماسونية كما فعلوا مع نابوليون الثالث الذي وكلوا الى اورسيني بقتله فلم يفلح

وكان اوّل ملك دخل في الماسونية فردريك الكبير ملك بروسيا دخلها سنة ١٧٣٨ وهو وليّ العهد. وصارت بينهُ وبين الماسونيَّة روابط وثيقة جدًّا فكان يعامل الماسون كاخوة ويقدّمهم في كل وظائف مملكته بل انشأ في دولته شرقاً اعظم وكان يظنّ انَّ الماسونيَّة لا تريد كما تزعم غير شمل العناصر البشريّة ألا انهُ ما لبث ان تأكد بانَّ اولئك الاخوة خونة. وكان بين حاشية الملك جنرال لا يخفي عنهُ شيئاً من مقدّمي الماسونيَّة اسمهُ فالراق. فهذا الاخ اطّلع على بعض اسرار الدولة بخصوص استحكامات بلاد سيلاسيا فباع الاوراق السرّيّة للنمسة عدوّة الملك فردريك. واذ وقف الملك على خيانته جمع محفل برلين وترأس الحفلة وخطب عن واجبات الماسون نحو وطنهم ثم قال: «انَّ احد الاخوة هنا قد حنث بأيمانهِ وباع اسرار وطنه فاذا اقرَّ بذنبهِ غفرتُ لهُ امَّا اذا سكت فاني لا اعود رئيساً لهذا المحفل حيث يوجد الخائن بل بصفة كوني ملكاً ادفعهُ لايدي الحكّام ليقضوا عليه»

ثم سكت الملك وانتظر ان يبوح الجنرال باثمه فلم يفعل. فحينئذٍ أُقفِل المحفل وبعد ان وضع المطرقة الماسونية على الهيكل خرج وتبعهُ الاخوة فالتفت الى الخائن وطلب منهُ سيفهُ ثم امر الحرس بتوقيفهِ ليحاكم فحكم عليهِ بالسجن المخلّد فمات في

قلعة مكدبورج سنة ١٧٧٦ خاملاً مجهولاً

وقد خان ايضاً فردريكَ الكبيرَ اخوهُ بالماسونية فولتير مرَّةً فعلم الملك بخيانته وامر الجلّاد بان يضربهُ ستين جلدةً يسلّم اليهِ الوصل بقبولها فتمّ الامر فعلاً

وقد رأينا في عهدنا مثل هذه الخيانات نحو الاوطان فتذكّروا الضابطين اليهوديين دريفوس واولو اللذين باعا اسرار الدولة الفرنسويّة لاعدائها. تذكّروا فرّير وخيانة الملكِ. غير انّ في زماننا لهؤلاء الخونة انصاراً من اخوتهم يحرّكون السماء والارض ليذكّوا الأئمة ويبرّروهم كما فعلوا في دعوى دريفوس الاثيم او ليستأنفوا دعواهم كما فعلوا بعد الحكم على فرّير. وقد رأينا في نفس بيروت قوماً من الاخوان لا يعرفون فرّير لا بالسمع ولا بالنظر ينتصرون لهُ امتثالاً لاوامر رؤساء الماسونيّة

وكما فكّك الماسون عرى الهيئة الاجتماعيّة الوثقى من جانب الحكم المدني كذلك نقضوا حَبل العيشة الاهليّة بسنّ شرائع الطلاق وبإضعاف السلطة الوالديّة في العائلة بتحريض الاولاد على نبذ اوامر الوالدين ونشر التعليم اللاديني وإكراه الابوين على وضع اولادهم في المدارس الرسميّة المنافية للمذاهب

ولا يقولنَّ احد ان هذه السُّنن قد اشترعها النوّاب. نعم ان النوّاب قد صادقوا عليها علانيةً الّا انهم كانوا سبقوا وقرّروها قبلاً في المحافل الماسونيّة التي كان هؤلاء النوّاب من اعضائها فمتت الشيعة في تعيينهم للنيابة في مجلسي الأمّة والاعيان فحلفوا في مجتمعاتهم السريّة انهم يتّبعون في التصويت إرادة الشرق الاعظم واذ قيّدوا نفوسهم باوامرهِ ونواهيهِ لم ينوبوا عن الأمّة بل عن الماسونية

هذا نظر اجمالي في غايات الماسونيّة واعمالها لا يمكننا ان نتّسع فيهِ فمن اراد التفاصيل أحلناه الى كتابنا « السرّ المصون في شيعة الفرمسون » الذي لم يردّ عليه حتى الآن احد من الشيعة الّا بعض فقرات ظهرت في الجريدة الماسونيـة في الاسكندريّة وفصلين قصيرين في مجلّتين مصريّة فبيروتيّة وكلّها تثبت كلامنا فضلاً من ان تنفيهُ اذ لم تجد جواباً غير الانكار دون سند وتعظيم الماسونية دون شاهد ثابت ولا نعدّ جواباً رسائل غفلاً من اسماء اصحابها وجّهوها الينا شتماً وتوهيناً

٣ اصل الماسونية وصفوة اعمالها الى يومنا

وكان بودّنا ان نبحث امامكم عن تاريخ الماسونية لتروا بدليل حسّي مزاعم

كتبتها الباطلة او بالحري اقاويلهم المتضاربة. فالاخ ايليا الحاج يروي عن شيوخه في الماسونيّة ان الماسون «جماعة من اليسوعيين الانكليز في بريطانيا» وروى الاخ جرجي زيدان« انها نشأت في القرن السابع عشر وانها هي جميّة الصليب الوردي. ومنهم من اوصلها الى الحروب الصليبيّة وطائفة الهيكليين وآخرون تتبّعوها الى أيام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد. وفي الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة (ص ١٠٣): «انّ سليمان الحكيم هو اوّل معلم اعظم في الماسونية». الى ان قال الاخ زيدان: «وبالغ آخرون في انّ مؤسسها آدم والابلغ من ذلك قول بعضهم انّ الله سبحانه وتعالى اسّسها في جنّة عدن وانّ الجنّة كانت اوّل محفل ماسوني وميخائيل رئيس الملائكة كان اوّل استاذ اعظم فيه»

كل هذا ننقله بحرفه من الكتب الماسونية فما رأيكم أيها السادة الكرام بمثل هذه السفاسف أترون انّ جماعةً يلقون على الناس هذه التلفيقات يستحقّون ان يُحلّ كلامهم محلّ الاعتبار؟ لا اظنّ. والمقرّر الثابت اليوم بعد الابحاث التي اصدرها في المانية المؤرخ الشهير هرمان غروبر انّ الجمعيّة الماسونية أُنشئت في ٢٤ حزيران سنة ١٧١٧ في لندن عاصمة الانكليز ثم وضعت الدستور الماسوني كما هو معروف اليوم في اواخر كانون الاوّل سنة ١٧٢٢ فصادق عليه المحفل الاكبر ونُشر في شباط من السنة التالية. وبعد قليل انحاز اليها ملوك انكلترة اذ وجدوا في الماسونية مُساعدًا قويًا على تشكيك الدول الكاثوليكيّة

نعم قد سبقت هذه الجمعيّة جمعيّاتٌ سريّة غيرها الّا انه لا علاقة بينها وبين الشيعة الماسونية الحديثة وان وُجد بينها بعض التشابه في طرائقها بل اخذت عنها شيئاً من طقوسها وعاداتها. كذلك لا علاقة بينها وبين جمعيات البنّائين الذين كانوا اتّخذوا لهم نقابات ليساعدوا بعضهم في الاشغال فانّ شبه الاسم بعيد عن شبه العمل وشبه الغاية لانّ تلك الجمعيّات كانت تحت نظارة الكنيسة فاذا دخلها احد اعلن بايمانه ومعتقده. ولا نجد في قوانينها شيئاً سريّاً

ولنا دليل آخر على ان الماسونية الحالية أُنشئت في ذلك العهد وهو ان المحافل المنبثّة اليوم في كل انحاء العالم كلها تنتسب الى شروق عظمى تنتمي آخرًا بالتوالي الى الشرق الانكليزي المنشأ سنة ١٧١٧.

فها انه قد مرّ على الماسونية نحو ٢٠٠ سنة ومحافلها تنيف على ثلاثة وعشرين الف محفل واعضاؤها مليونان بنيف فترجوها ان تُطلعنا على مآثرها في هذه المدّة. تدّعي انها « وُضعت لجمع شمل العناصر البشرية ضمن سياج الانسانية » فلدينا نشراتها ولدينا كتابات ذويها السرية فمهما تصفحناها لا نرى ذكرًا لوفاق او لشارة الى عمل اجتماعي ازالت فيه الماسونية بمساعيها النفور والخصام بين الشعوب او بين الافراد او انها ابطلت حربًا او جبرت كسرًا. وعلى خلاف ذلك فان الشواهد المتعددة التي جمعها العلماء تثبت بلا مراء ان الماسونية فرّقت ولم تجمع زادت الصدع كسرًا ولم تجبره وذلك حتى بين اصحابها. فكأنكم سمعتم ما جرى من المنازعات بين اعضاء المحافل الماسونية الوطنيّة التي سُمع صداها حتى في الجرائد العمومية وكذلك طُبعت الاحتجاجات التي نشرتها محافل الاستانة في حقّ ادريس بك راغب واصحابه كما طنطنت جرائد مصر كالمقطم والاهرام بذكر الانقسامات والمشاحنات التي جرت بين المحافل المصريّة

٦ نتيجة البحث

افلا يحقّ لنا بعد ذلك ان نستنتج من هذه الاعمال والاقوال ان الماسونية جماعة فاسدة في غايتها وفي تأليفها وفي الوسائط التي تتوسل بها لبلوغ غايتها. اولا يجب علينا ان نستحلف اهل بلادنا الذين انخدعوا بها ان ينفصلوا عنها وعلى ظنّنا انّ تسعة اعشارهم دخلوها دون ان يعلموا حقيقتها ومنهم من جاهروا بلعنها بعد ان عرفوها

وقد سبقهم اكبر رجال الدين وارباب الدول المنظمة في رذل هذه الشيعة وكان في مقدّمتهم اولئك الاحبار الاعظمون الذين اذ عرفوا شيوع هذه الجمعية الماسونية اسرعوا الى شذبها وضربوا بالحرم من ينضوي اليها وذلك بعد ظهورها بزمن قليل فلدينا نحو عشرين براءة كتبها الاحبار الرومانيون في هذا الامر. واذ عرف المجمع المقدّس ان الشيعة الماسونية نفثت سمها في هذه البلاد منذ ١١٥ سنة بادروا الى تنبيه نصارى الشرق الى امرها فتقدّم المجمع بترجمة براءة البابا بندكتوس الرابع عشر في مناهضة الماسونيّة ثمّ عُني بنشرها في ثلث لغات اليونانية والارمنية والعربية وكفى به شاهدًا على سهر الكنيسة على اولادها لئلّا يصابوا بهذا الداء العياء.

وقد جمعنا في كتابنا السرّ المصون اقوال السادة البطاركة الاجلاء والاساقفة الجزيلي

الاحترام والكهنة الافاضل مع اقوال ائمة المسلمين والبروتستانت وغيرهم وكلهم يتفقون على كشف دسائس الماسونيّة والتحذير من شرّها

وكما قام ارباب الدين لمناهضتها ترى ايضاً كل الدول الحريصة على بقائها حذّرت من هذا المصاب. وقد روينا هناك سنّ ٢٣ دولة من جملتها دولتنا العليّة منذ ١٦٠ سنة تنهى رعاياها عن التشيع في الماسونيّة تحت طائلة العقاب وقد جدّدت دولتنا هذا النهي لمّا ورد في العام الماضي الامر باقفال المحافل الماسونية في انحاء تركيا. فلا يبقى لنا بعد هذا الشرح الّا ان نكرّر على مسامعكم بعض ما ختم بهِ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر براءة النعمة حكمةً وصلاحاً التي اصدرها عن الشيعة الماسونية سنة ١٨٨٤ قال:

واما انتم ايها الاخوة المحترمون فنسألكم ونطلب اليكم ان تساعدونا وتنفقوا غاية مجهودكم في محو شأفة هذا الفساد المهلك الذي قد دبّت عقاربهُ الى جميع عروق الاجتماع الانساني فعليكم ان تذبّوا من مجد الله وخلاص القريب اللذين متى قصدتم الدفاع عنهما لا ينقصكم فيهِ لا الشجاعة ولا القوة. وقد وكلنا الى حكمتكم ان تختاروا ما ترونهُ ملائماً من الوسائل الفعّالة لازالة ما يعترضكم من الموانع – الّا انهُ لمّا كان يناسب سلطان وظيفتنا ان نبيّن بعض الوسائل الملائمة في هذا المقام فأوّلاً عليكم ان تكشفوا النقاب عن حقيقة الشيعة الماسونيّة لابرازها للناس كما هي وان تعلّموا الشعوب وتنبهوهم بالخطب الشفاهية او بالرسائل الرعائية الى مكايد مثل هذه الجمعيات في مواساتهم ومواعيدهم الكاذبة والى فساد آرائهم وقبح اعمالهم وان تبيّنوا لهم ما أقرّهُ سلفاؤُنا غير مرةٍ من انهُ لا يباح لاحدٍ ولا لايّة علّةٍ ان يتحيّز الى شيعة الماسونيين اذا كان الدين الكاثوليكي وخلاصهِ عنده من منزلة الاعتبار والاهميّة ما يجب ان يكون. وليحذر كلٌّ منهم ان يغترّ بالادب الظاهري. فقد يظهر للبعض ان الماسونيين لا يلتمسون شيئاً ما يضاد بالوجه الصريح قداسة الدين والآداب الّا انهُ لمّا كانت حقيقة هذه الشيعة وغايتها مبنيّتين على الفساد والرداءة فلا يمكن ان يباح لهم التحيّز اليها ومظاهرتهم لما ينجم من الاغاء

ثم اشار البابا الى وسائل أخرى الى ان قال:

فعليكم ان ترشدوا الآباء والمرشدين الروحيين وكهنة الرعايا ان لا يغفلوا في اثناء شرحهم التعليم المسيحي ان ينبهوا بالطريقة الملائمة الأحداث والتلاميذ الى فساد طبيعة هذه الجمعيات وان يعلموهم منذ حداثتهم ان يتحرزوا من حبائل المكر المختلفة التي اعتاد اصحابها ان ينصبوها اخذاً للناس بها

فما بقي علينا بعد هذا الّا ان نضمّ صوتنا الضعيف الى صوت راعي رُعاة

النفوس طالبين الى الله ان يرشد كل اهل الاوطان الى ما فيه خير العباد وصلاح البلاد فانهُ اسمع السامعين

حلب الشهباء ومجلَّة المقتبس

لحضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

في الصيف المنقضي زار صاحب المقتبس اللوذعي حلب الشهباء. فكتب في تاريخها المدني وجغرافيتها السياسيَّة والصناعية والتجاريَّة وحالتها العمرانيـة والاجتماعية والادبية فصولاً سابغة الذيول نشرها ولاء تباعاً في الاجزاء الاخيرة من السنة السادسة من مجلتهِ الزاهرة فجاءت خير برهان على وفرة ادبهِ وسعة اطلاعهِ فحقَّ لهُ مزيد الثناء على ما عاناه من الكد والتعب في ما دبَّجهُ يراعهُ السيَّال من تلك الطرائف الرائعة والحقائق الناضرة

وقد امعن في البحث واكثر من التقول الَّا في اشياء ارسلها على علَّاتها واثبتها كما رآها في كتب القدماء. شأن الراحل او المسافر الذي يصف ما يشاهده ويروي ما يمرّ بخاطرهِ دون ان يتسنى لهُ تمييز الغثّ من السمين وبيان الخطأ من الصواب في ما يدوّنهُ في اسفاره من الانباء. والآثار تاركاً لمن خفَّت عن نفسهِ مؤونة السعي ان يتعمَّق على هيئتهِ ما شاء في مثل تلك الاغراض والمباحث وما انا من يمهد لهُ العذر فعذرهُ ظاهر ولا من يتعقبهُ فيما اتى بهِ فلعلهُ على صواب ولعلي على خطأ وانما التمس الحقيقة فيما اثبت وانفي والحقيقة بنت البحث كما لا يخفى

بنو حام

قال في الصفحة ٦٢٧ : « اول من استوطن بقعة حلب بنو حام بن نوح وكانوا ينزلون من شط بغداد الى مصر » — وقد اصاب في بعض قولهِ الاول ولكنهُ اخطأ في الثاني فان مساكن بني حام معروفة لا خلاف عليها فبنو كوش امتدت مساكنهم من بابل وعلى شطوط الاوقيانوس الهندي حتى بلاد الحبشة ومصر وذرية مصرائيم قد توطنت مصر ونسل فوط قد سكن شطوط افريقية الشمالية على قول البعض او بعض اليمن

والسومال على قول آخرين. وبنو كنعان اهلت بهم سهول سورية الشمالية وشطوط البحر المتوسط الى جنوبي فلسطين وهو ما يُستفاد من الكتاب الكريم

فرقة الكيتا

وفي تلك الصفحة: «قد كانت فرقة (من بني حام) فيها قيل انها تسمى الكيتا فسكنت بقعة حمص وحماة وحلب» — يجري الكاتب في لفظ الكيتا على التعريب الحرفي عن اللغات الافرنجيَّة والاقرب الى اللغات العبرانية والمصرية والاشوريَّة تعريبهُ له بالحتا او الحيتا وهم الحثيون ابناء حثّ بن كنعان بن حام بن نوح. و كانوا (يعدُّون تخوم بلادهم الى جنوبي سورية والى تخوم مصر التي نشب بينهم وبينهـا حرب على عهد رعمسيس الثاني. وفي القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد استولوا على جزء عظيم من اسيا الصغرى) على مـا رواه المقتبس نفسهُ (٦ : ٦٨٠) اقرأ ايضاً مجلة المشرق ٩ : ١١٢٦ وما يليها)

ابراهيم الخليل

وفي الصفحة نفسها: «وسكن حلب ابراهيم الخليل» — وهو ما ذهب اليه بعض كتبة العرب كما يذهب آخرون منهم الى انهُ عليهِ السلام قـد قطن في بعلبك ومالك في دمشق الشام وسواهما وكلا المذهبين على حد ما يذهب اليهِ كتبة العرب انفسهم في مدفن النبي داود منّ انهُ في جبل صهيون وبيت لحم وبلاد البقاع وقرية مشحلا من اعمال حلب وفي مدفن ابنهِ سليمان من انهُ في كنيسة الجسمانية وباب الصخرة وبيت لحم وجزيرة اندمان غربي الهنـد الصينية وغير ذلك. ومهما يكُ من الامر فليس في الكتاب العزيز ما يدعم ذلك المذهب في استيطان ابراهيم في حلب ومن المحتمل ان يكون مرَّ بها عند رحيلهِ الى ارض الكنعانيين ولكنهُ غير قطعي

بنو آرام

وفيها ايضاً: «ثم جاء بعدهُ بنو ارام بن لوط من بني سام واستولوا على تلك البقعة» — لا ادري الى ما يستند في قولهِ ان آرام ابنُ لوط والمشهور المتعارف ان آرامَ ابنُ سام ولوطاً ابنُ هاران.. بن ارفكشاد ابن سام وهو جد الموابيين والعمونيين وارامُ جد الاراميين الذين عمروا دمشق واعمالها وتغلغلوا منذ الزمن الاطول في انحاء سورية

الشمالية ومنها حلب. ولما انقرضت الدولة الحثية عادت دولة الاراميين الى الظهور في تلك الجهات الى ان تغلب عليها اليونان في عهد الاسكندر المكدوني وهو الذي اجمع عليه المؤرخون القدماء والحدثاء استناداً الى اشهر الآثار القديمة وبهِ غنى لذوي الالباب

مملكة ارام

وفي صفحة ٦٢٨: «وقسموها (اي مملكة الاراميين) الى ثلاثة اقسام الاولى جزيرة ارام... والثانية المملكة الشامية.. والثالثة مملكة ارام صوبا»..ولا ريب في ان الكتاب العزيز سمى سورية ارام نسبة الى ارام الخامس من ابناء سام على انهُ اضاف اسم ارام الى اعمال عديدة فقال ارام النهرين وارام دمشق وارام صوبا (وهي التي سبق ذكرها) وارام معكة يراد بها فيما يظهر بلاد حاصبيا ومرجعيون وبانياس. وارام رحوب ويظهر انها كانت في محلّ الجولان الان. ذلك كل ما ذكرهُ الكتاب المقدَّس وعليه المعول عند العلماء الاثبات

ارام صوبا

وفيها ما حرفهُ: «والثالثة ارام صوبا وهي الجبُول من ضاحية حلب وما قرب منها». والذي عليه العلماء انها سوريّة المجوفة اي ما بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي او هي مملكة كانت بين دمشق جنوباً وحماة شمالاً وعلى ذلك ادلة. منها ان توعي ملك حماة حارب هدد ملك صوبة. ومنها ان ارامي دمشق اتوا لنجدة هدد على داود عند حربهِ له ومنها ما جاء في سفر اخبار الايام الاول ١٨: ٣) وهو بحرفهِ: (وضرب داود هدد عزازا ملك صوبة في حماة) اي في جوار حماة فمجاورة مملكة هدد لدمشق من جهة وحماة من اخرى وغزوتهُ في نواحي الفرات التي حاربهُ داود الملك بسببها يدلّ صريحاً على ان مملكتهُ كانت حيث ذكر آنفاً فتامل

العمالقة والكيتا

وفيها ما نصهُ: «ويقولون انها (حلب) من بناء العمالقة بدليل الكتابة التي وجدت على (جدار)... جامع القيقان... مكتوبة بالخطّ الهيروغليفي بلغة الكيتا». والكتابة بلغة الكيتا او الحتا (اي الحثيين) لا ريب فيها ولكن من اين استولى منها بيشوف الذي اخذ عنهُ المقتبس على ان حلب من بناء العمالقة

والكتابات الحثية لا تزال رموزًا يعتاص حلُّها على العلماء حتى الآن فسقوط الدليل يُسقط معهُ ما استُدلَّ بهِ عليـهِ كما لا يخفى. واطلاق الحثيين على العمالقة لا يخلو من خلط ومجازفة لان الحثيين من اصل حامي هو حث بن كنعان واما العمالقة فقال فيهم لنزومان الشهير انهُ يظهر من اقدم التقليدات العربية انهم من ذريّة ارام ولوديم فهم من اصلين حامي وسامي. ويظهر ايضاً من الكتاب المبين انهم كانوا يعمرون جنوبي سوريّة وهو المقرَّر المعلوم

الكيتا والحاتيون

وفي تلك الصفحة: « ان كتابة . . . الحجر الاسود مكتوبة بالخط الهيروغليفي بلغة الكيتا او الحاتيين » — ومن الثابت المؤكد ان الشعبين من اصل واحد هو كنعان ابن حام ولكن الاول غير الثاني والاول هو شعب الحتا او الحثيين وقد سبق ذكرهم مرارًا واما الثاني فهو قبيلة الحمثي او الحماتيين التي نزلت على ضفة العاصي وأسست مدينة حماة وسمّتها باسمها وهو ما يقولهُ علماء الانساب والتاريخ. والذي يلوح لي ان بيشوف الجرماني عرَّب (في تاريخ حلب ص ٣—٥) اسم الحثيين تعريباً حرفيًا (بالكيتا او الخاتيتيين) فجعلها جامع كتابهِ (الكيتا او الحماتيتيين) فصحّحها صاحب المقتبس (بالكيتا او الحماتيين) فتبصَّر وتدبر

حلبة وحلبون

وفي الصفحة نفسها: « وكان اسم حلب بلغتهم (اي بلغة الحثيين) هلبون وهلبة » — من المعروف ان الحاء والخاء لا وجود لهما في بعض اللغات الافرنجية فيستعاض عنهما بما قرب منهما مخرجاً من حروفها فلما نقلهما المصحح عن بيشوف السابق الذكر رسمهما بالهاء جرياً على عادتهِ في التعريب الحرفي المستهجن والّا فحلب لم تُسمَّ في وقت من الاوقات بمثل هذا الاسم المشوَّه المنكر وانما سماها الاراميون على رأي البعض (حلبون) وسماها المصريون القدماء (خلبو) فصحفوا المصحح (بهلبون وهلبة) كما هو ظاهر. راجع ما شئت من كتب الجغرافية والتاريخ

فراعنة مصر

وفيها ايضاً: « اتى ملوك الفراعنة . . . وحاربوهم (الحثيين) وملكوها (حلب) منهم وهم توتمس الاول وتوتمس الثاني وسياتي ورعمسيس الاول » . (الصواب تحوتمس

الثالث وسيتي الاول ورعمسيس الثاني) وهم من ملوك الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة بمصر وكل خبير يعلم ان في عصر الدولة الاولى ابتداء اعنات بني اسرائيل وفي عهد الثانية كان خروجهم من مصر فلا ادري كيف يقول بعده "وذلك قبل التاريخ المسيحي بالفين وخمسمائة سنة الى ثلاثة الاف سنة" والصواب بالف وخمس منة سنة الى الفي سنة على الكثير ولا اخال تأسيس حلب يتعدى الالفي سنة قبل ميلاد السيد المسيح (له المجد)

ملوك بابل

وفيها بعده: "واتى بعد ذلك ملوك بابل وحاربوا السريانيين (كذا) وملكوها (حلب) وذلك قبل التاريخ المسيحي بثمانية وستين سنة" — وهو يريد ملوك اشور كما هو المعروف المقرَّر وفي الاثار الاشورية ان تجلت فلاصر الاول وكان سنة ١١٣٠ او سنة ١١٢٠ ق م قد حمل على سورية فافتتحها عنوة واخضعها لسلطته. وجاء بعده بعض خلفائه على عرش نينوى مثل اشور نسربال الذي ملك سنة ٨٨٣ ق م وسلمناصر الثالث الذي استوى على سرير الملك سنة ٨٥٨ ق م فاغاروا على سورية وامتلكوا بلادها وكل هؤلاء غشوا سورية قبل الزمن الذي عينهُ الكاتب بقرون كما هو ظاهر

سلمناصر الرابع

وفيها ايضاً: وفي سنة ٨٦٠ ق م حارب شلمناصر الرابع الحثيين وملك حلب في جملة ما ملك من البلاد" — ومن هذا يظهر ان الكاتب يريد الحثيين على ما سبقت الاشارة اليه. ولكني لا ادري من يريد بهذا سلمناصر الذي نعتهُ بالرابع مع انهُ في التاريخ الذي عيَّنهُ الكاتب كان المالك اشور نسربال الذي ملك من سنة ٨٨٣ الى سنة ٨٥٨ ق م وقد اقرَّ العلامة لرمان في تاريخهِ (ج ٤ ص ٢١١) انهُ لم يحمل على سورية من ملوك اشور بعد سلمناصر الثالث سوى حفيدهِ رمان الثالث وخلفهُ تجلت فلاصر الثاني الذي ارتقى عرش نينوى سنة ٨٥٨ الى سنة ٨٢٣ ق م

الروم واليونان

وفيها بعده: "جاء الاسكندر واخذها (حلب) . . . فصارت مسكناً للروم اليونانيين يقولون لها خليه ولنا حولها خلبن . . . وكانوا يقولون لها بوريا . . . ولعلها

عربية من قولهم بروي» —ففي قوله «الروم اليونانيين» تسامح ظاهر وهؤلاء سبقوا اولئك في امتلاك حلب كما هو معروف. واماً خلبه وخلبن فقد اتفق ناقلوها على تعريبها بكالب وكالبون ولا بأس من تعريبها خالب وخالبون وهي ترجمة (حلبون) باللغة اليونانية. واماً قوله انها عربيةٌ من البروي فهو مثل سواه من توجيهات العرب فيما حاولوا ان يجدوا له اصلاً في اللغة العربية من الالفاظ الاعجمية العديدة

حلب والروم

وفيها اخيراً: «ثم استولى الروم على حلب وجعلوها كرسي مملكتهم مع سوريَّة وانطاكية» — وهو قول لا يخلو من مجازفة ومهما يكن منهُ فان حلب كانت في عهد الروم من اعمال قورستيكا التي كانت قاعدتها قورس او قورش وهو الــذي ذكرهُ الجغرافيون قاعدةً

انوشروان

وفي ص ٦٣٠: «جدد كيدويس الشرواني ما انهدم من سور حلب» — والصواب «كسرى انوشروان» وبه وسمهُ مؤرخو العرب وبهم يجب الاقتداء في كتابة الاعلام وسواها كما لا يخفى

اسم خاليس

وفي ص ٦٣٢: «واسم (نهر) قويق القديم شالوس عن سالنامة ولاية حلب» — والصواب (خالس) وقد ذكرهُ كزينفون اليوناني وبهذا عربه كل من ذكرهُ من الكتَّاب

اسم قويق

وفيها ما حرفهُ: «وسبب تسميته (النهر) بقويق ان رجلاً من رؤساء عشائر التركمان في القرن الرابع اسمهُ قويق انشأ لهذا النهر عدَّة سدود ليجري جرية حسنة فأطلق اسمهُ على النهر من ذلك الحين» — وهو ما رواه البعض واعتمد عليه آخرون ولكني في ريب من صحتهِ لا لان التركمان ما استطاعوا اذ ذاك ان يتولوا حلب حتى يجروا فيها مثل هذه الاصلاحات التي هي من خصائص الهيئة الحاكمة بل لان مثل

ابن الطيب السرخسي الشهير يذكرهُ بهذا الاسم في رحلتهِ سنة ٢٧١ هـ (٨٨٤ م) اي قبل القرن الرابع وعندي ان تسمية النهر بهذا الاسم سبباً آخر واسمهُ ليس بكردي ولا عربي فتأمل

عما لاغما

وفي ص ٧٠٣ : «كفر عما (؟) صقع بين خساف وبالس من نواحي حلب» — في حين انهُ ذكرهُ في ص ٨٠١ فقال: كفر عما صقع في برية خساف بين بالس وحلب. وهو الذي يقولهُ اصحاب الجغرافية والمعاجم

فاميا وابيفانيا

وفي ص ٧٤٣ ذكر عن حماة: « انهُ ربما كان انطوخيوس ابيفان هو الذي سماها (ابفانيا) . . . ولم يصرح جغرافيو العرب بان فامية هي حماة . . . بل قالوا ان فامية هي مدينة قديمة » — قلتُ ليس صاحب المقتبس اول من شُبّه عليهِ اسم حماة اليوناني بافامية فقد شُبه على كثيرين مَن قبلهِ من كتّاب الفرنجة والعرب والسريان . واول من كشف الغطاء عن حقيقة هذا العلَم انما هو الرحالة بورخردت الشهير فتبعهُ العلماء الاثبات (المشرق ٦ : ٥٥٣) وهو الصواب فان فامية او افاميــة (قلعة المضيق) واقعة في الشمال الشرقي من حماة وكانت في عهــد العرب من كورة حمص (انظر المقتبس نفسهُ ٦ : ٦٩٠ و٦٩١) وقد انتبه صاحبهُ لذلك في عدد مجلتهِ الاخير (٧ : ٢٢٩) فقال : « افامية غير حماة » وهو الصواب

. . .

هذا وقد اكثر من التقول عن جغرافيي العرب في بلاد عديدة دون ان يحقق اسماءها او يذكر من احوالها الحديثة شيئاً فبقي فيها اشياء لغوية وجغرافية لا سبيل الى تحقيقها الان آملاً ان لا يبـدو لهُ كلامي في غير لونهِ من الاخلاص وفوق كل ذي علم عليم

من المهد الى اللحد

للاديبين سليم ابي رزق ويوسف جرجس الخوري من طلبة كليتنا

على صفحات العمر خطَّت يدُ الدهرِ عظاتٍ لذي الذكرى تُسطَّرُ بالتبرِ
عرفتُ بها سرَّ الحياة وكُنهَهَا وما تحتوي الدنيا من الحلو والمرِّ
فما العُمر الّا مَرحلاتٌ نجوزها على الشوك احياناً وحيناً على الزهرِ
تَشيد لنا الآمالُ برجَ سعادةٍ فتنسفهُ الأيامُ بالنُّوَب الحُمرِ
هو العمرُ ادوارٌ فاولهُ الحشى وآخرهُ حتفٌ يسوقُ الى القبرِ
وفي كل دورٍ للشقاوة غارةٌ تغيِّبها الاحلامُ عن مُقلةِ الفكرِ

الطفل

ومهدٍ بهِ نام الصغيرُ مقمَّطاً كأني بهِ العصفورُ يرقد في الوكرِ
يريدُ حراكاً والقماطُ يصدُّهُ فيلبثُ مغلولَ اليدَينِ على قسرِ
وليس له شكوى سوى عبَراتهِ فتنثرُها عيناهُ درّاً على النحرِ
ترى أُمهُ تهفو اليهِ اذا بكى وفي فكرها البلبالُ يلذعُ كالجمرِ
اذا هزَّ صوتُ الطفل مهجةَ امهِ فبرقُ الهوى ما بين قلبيهما يجري
لأنَّاتهِ في صدرها ابداً صدى اذا أنَّ خلتَ السهمَ أُثبتَ في الصدرِ
وان هبَّ يشدو في السرير ترنَّحت سروراً وهزَّت عطفَها سورةُ البِشرِ
تُناغيهِ نشوى من ملامح وجههِ فيصغي الى انغامها باسمَ الثغرِ
وتُنشدهُ شعرَ الهوى فيعيدُهُ بلهجته العجماء شعراً من السحرِ
فكم ليلةٍ أحيت الى جنب مهدهِ تنظِّمُ عقدَ الدرِّ من دمعهِ الذرّي
براهُ يغدو السُّهدُ اشهى من الكرى اليها وجنحُ الليل ازهى من الفجرِ
وان غابَ عن ابصارها شُقَّ قلبُها بسيف النوى شطرَين شطراً على شطرِ
على انهُ في مهجة القلب نازلٌ وفي مُقلتَيها ماثلٌ ابدَ الدهرِ
تراهُ بمرآةِ الغرام كأنهُ اخو البدر او ابهى ضياء من البدرِ
وتسبحُ في جوِّ التفاؤل والمُنى فتبني له برجاً على هامة النَّسرِ

تقول متى ما شبَّ طفلي يجول في ... سماء المعالي تحت ألوية النّصر
وطورًا تخالُ الدهرَ ينضو حسامَهُ ... على غصنهِ اليأس في زهرة العمر
فينخرُ سوسُ الهمِّ جذعَ فؤادِها ... ويقذفُ من حوليهِ موجاً من الذُّعر
لذلك لا تنفكُّ ترعاهُ عينُها ... تحرسهُ طولَ الزمانِ من الضُّرِّ
ألا ان عيشَ الامِّ مُرٌّ مذاقهُ ... وعيش ابنِها في المهدِ ضربٌ من الاسر

الصبا

اذا بلغ الطفلُ الصِّبا مالَ قلبهُ ... الى اللهو ميلَ الشَّهم للمجد والفخر
يُكبُّ على الالعاب طولَ نهارهِ ... كإكبابِ عُشّاقِ الثَّراء على الصُّفر
وقد فاتهُ ما في كِنانةِ دهرهِ ... من الشؤم والأسواء والجور والغدرِ

ويوم بهِ طابت عن الناس مهجتي ... فلم أرَ للساوى سبيلًا سوى القَفْر
خرجتُ وفي صدري الهمومُ كأنها ... جبالٌ من الظلماء قامت على صدري
فقد اشرفت عيني على زهرةِ الرُّبى ... وقد كلَّلتها بالجمانِ يدُ القطر
رأيتُ جيوشَ البِشرِ شدَّت على الاسى ... فلم تُبقِ للاتراح في الصدر من إثرِ
هنالكَ نهرٌ تعقدُ الريحُ فوقهُ ... زُرودَ لُجَينٍ او سلاسلَ من درِّ
على ضفّتيهِ الدوحُ مدَّت ظلالها ... لها نفحاتٌ دونها عبقُ العطرِ
تهدتْ بُسطَ العشبِ يطرب مسمعي ... طيورُ الرُّبى تشدو على نغمِ النهر
اذا بفَراشٍ مرَّ يعدو وراءهُ ... صبيٌ ذكت في خدِّهِ جذوةُ الجمر
فلم يرَ غيرَ الدوح من ملجأٍ له ... فلاذ بها عيَّانَ من شدةِ الكرِّ
وما انفكَّ ذيّاكَ الصبيُّ ملاحقاً ... طريدتهُ الحمرى فتركنُ للفرِّ
الى ان تولَّاهُ القنوطُ فكفَّ عن ... لِحاق فراشٍ ما جنى قطُّ من وزرِ
فلمَّا انجلى همُّ الفراش هوى على م ... الازاهرِ يحيي النفسَ من عرفها العطري
لقد حان من ذاكَ الصبيِّ التفاتةٌ ... فابصر نَغلًا ساحباً حبَّةَ البُرِّ
فاتى عليهِ القبضَ ظُلماً وعنوةً ... وجرَّدهُ مما حواهُ من الذُّخرِ
فقلتُ بنفسي هذهِ صورةُ الذي ... يُذيقُ الورى صابَ المظالمِ والقهرِ
وقد غاب عن ابصارهِ أنَّ ربَّهُ ... مجازيهِ اضعافاً على الظلمِ والشرِّ
فمن ينصبِ الاشراكَ للطيرِ في الصبا ... فان شبَّ ينصبْ للورى شركَ المكرِ

ومَن يظلمِ الانسان يوماً لضعفهِ   يُداس عذابَ الوُرقِ في مِنسر الصَّقْرِ
يخوض الفتى بحر اللذّات غافلًا   كأني بهِ في مأمنٍ من شبا الغُمرِ
ويُطلق طرفَ القلب في ساحة الهوى   فيكبو بهِ في وهدةِ الذلّ والمكرِ
فيا خائضاً بحر الملاهي منعَّماً   حذارِ من الانواء في المدّ والجزرِ
ويا وانياً قُمْ من سُباتك واقتبسْ   من الطيرِ درساً لست تلقاهُ في سِفرِ
ألستَ ترى العصفور يغدو لقوتهِ   ويحرزهُ بالكدِّ خوفاً من الفقرِ
كذلك تلقى النملَ يجمع ذُخرَهُ   ليقضيَ فصل العُسر في جنّة اليُسرِ
وما النهر الّا صورة العمر فاعتبرْ   حياتك مثلَ النهر يجري الى البحرِ
ألا إنّ أيام الصبوةِ حلوةٌ   ولكنما العقبى امرُّ من الصَّبرِ

الطالب

لقد شاقني ذكر العلوم فساقني   الى معهدٍ يسبي بآدابهِ الغُرِّ
فشاهدت تلميذاً امام معلّمٍ   يقلّبُ كرّاساً تلطّخ بالحبرِ
يديرُ بهِ الالحاظَ لكنَّ فكرَهُ   يسابق خيلَ العُرْبِ في العدوِ والحضرِ
يجوبُ بلادَ اللهِ وهو مقيَّدٌ   فينزلُ في قُطرٍ ويرحلُ عن قُطرِ
يظنُّ مغاني العلم سجناً لنفسهِ   وسجّانهُ الاستاذُ ذو النهيِ والامرِ
يحاولُ ان ينحلَّ من قيدِ أسرهِ   ويحسد طيراً سابحاً في فضا البرّ
متى حلّ ميعادُ السباقِ رأيتهُ   يقلّبُ الحاظاً لينسخَ في السرِّ
فإنْ فاز في الفحص الكتابيّ بالمُنى   فما هو في الفحص الشفاهيّ ذو قدرِ
وإنّ لهُ من أعيُنِ الناس أسهُماً   من الهزءِ يُدمي نصلُها مهجةَ الحُرِّ
ألا اصلح اللهُ الكسالى فانّهم   يذوقون اسواء تندُّ عن الحصرِ
وبارَكَ في اهل النشاط فانّهم   سيبدون في الاوطان كالانجمِ الزُّهرِ
ترى الطالبَ النهّاضَ يُعمل فكرهُ   ليدركَ شأوَ المجد في ساحةِ الفخرِ
ولا ينثني عن باحةِ الجدّ لحظةً   ليكسبَ حمداً في الملا عابقَ النشرِ
يؤمُّ رياضَ العلم يجني ثمارَها   ويقتطفُ زهرَ السعدِ من غصنها النضرِ
وينكبُّ ظمآناً على مشرع الهدى   كإكبابِ حرّانِ الفؤادِ على الغمرِ
ألا انّ اهل الجهل يخبث ذكرُهم   وذا العلم عباقُ المحامدِ والذكرِ

فإياك ان ترضى لنفسك بالعمى ... فصاحبهُ ميتٌ وإن عاش للحشر
وغذِّ النُّهى بالعلمِ والقلبَ بالتُّقى ... فتظفرَ في الدارَين بالسعد والأجرِ

الشبيبة

نظرتُ الى اهل الشبيبة نظرةً ... تجلّت بها شمسُ الحقائق في فكري
لهم عزّةٌ قعساء تأبى صغارةً ... وهمّتهم من دونها همّة النسرِ
يغوصون في بحر المفاخر جُهْدَهُم ... ليستخرجوا درّ المعالي من القعرِ
أسودٌ أباةُ الضيم في ساحة الوغى ... تقدُّ مواضي عزمهم مهجة الصخرِ
وتحسبهم في السِلم وُرقاً سواجعاً ... على فَنَنِ الاشواق في روضة الطُهرِ
يذودون عن حوضِ الفضائل عمرَهم ... ويحمون وِردَ الدين من كدَرِ الكفرِ
واوطانُهم ان يستباح ذمارُها ... يحامون عنها بالمثقّفةِ السُمْرِ
أرى الموت في خير البلاد غنيمةً ... ففي عزها عزي وفي فخرها فخري
احاربُ عنها باليراع مناضلاً ... وإن مسّت الحاجات بالقُضُب البترِ
ادافع عنها ما حييتُ وان أمُتْ ... فحبُّ بلادي لا يغيّبهُ قبري
عليك سلامُ اللهِ يا خيرَ موطنٍ ... وزانكَ ربُّ العرشِ بالحلل الخُضرِ
اذا ثملت بالخمر أفئدةُ الورى ... فذكركَ احلى في فؤادي من الخمرِ
وان تاهتِ الدنيا بوشي ربيعها ... فانت ربيع الروح والقلبِ والفكرِ
ألا ان ادوار الحياةِ عديدة ... ولكن ربيعُ العمر من نُخَب العمرِ

سليم ابو رزق

الكهولة

رعى الله اعلامَ الحصافةِ والخِبَرِ ... وصان رجال الحزم من غُصَبِ الغدرِ
وحيّا مغاويرَ الحروب تحيّةً ... تردّدها يومَ الوغى أُسْدُ الخِدرِ
هم عدّةُ الاوطان يحمون عزّها ... ببأس على حدّ الظُبى ابداً يجري
ولا نالت الجُلّى الكهولَ فانّهم ... ليجنون زَهر الرُشد من فنَن الخُبرِ
لهم عزمةُ الفتيان لكنْ قلبهم ... بصيرٌ بأخلاق الورى عاركُ الدهرِ
فلا تستفزُّ المطرباتُ قلوبَهم ... وليسوا اوان اللَّهو كالخَود في الخِدرِ
فهم بين حدّي حدّةٍ ورزانةٍ ... فما همُ اطوادٌ ولا تلو خَمرِ
اذا رُزق الكهلُ البنينَ غذاهمُ ... بآدابهِ الحسنى واخلاقه الغرّ

يُلقّنهم في المهدِ حبّ بلادهم ... ويجعلهم من معشر السوء في حِجْرِ
ويحجب عن اسماعهم كلَّ لفظة ... تُؤدّي بهم يوماً الى هوّة الوزرِ
ويُبعد عن ابصارهم كلَّ مشهدٍ ... ينبّت في الاذهان جرثومة الشرّ
فلا تسمع الآذان الّا نصائحاً ... ولا تقعُ الانظارُ الّا على الطهرِ
اذا اعوجّ خُلقٌ فيهم هبَّ مسرعاً ... يُثقّفهُ غضّاً فينجو من الكسرِ
وإن علّةٌ شنّت عليهم غارةً ... يعالجها حتى تُقدَّ من الجِذْرِ
فليس يغضّ الطَّرف عنهم لجلّة ... مخافة أن تصطادهم عصبةُ المكرِ
اذا بدرت منهم بوادرُ حدّةٍ ... يؤدّبهم باللحظ لا الضربِ والهُجْرِ
فلحظته امضى من السيف عندهم ... وهيبتهُ تغني عن العنفِ والزجرِ
وان فعلوا صنعاً جميلاً جزاهمُ ... جزاءً يحلّي عندهم عملَ البِرِّ
تمرّ الليالي بينَ نثرِ نصائحٍ ... ونظمِ انتصاحٍ كالقلادة في النحرِ
يدير عليهم من سُلافٍ حنانهِ ... كؤوساً فتنسيهم معتّقةَ الخمرِ
ويطبع فوق الخدّ قبلة حبّه ... فتهتزّ اعصابُ القلوب من البشرِ
فلله من مجلى يُجلِّل أفقهُ ... سناءُ هلالٍ بين انجمهِ الزُّهرِ
هنالك أقمارُ الهناءِ زواهرٌ ... تحفّ بشمس السعدِ والانس واليسرِ
اذا كان في الدنيا نعيم فانّما ... ترى روضهُ الفيّاحَ في ذلك القصرِ
سقى الله صوبَ الرغدِ والخيرِ والدّا ... يبرُّ بأولادٍ لـهُ أيّما برِّ
يُكبّ على الاتعاب طول حياتهِ ... ليجمع للابناءِ كنزاً من الوَفْرِ
مخافة ان تنتابهم نُوَبُ الشقا ... اذا خيّمت في ربعهم سُحُب الفقرِ
واشرفُ ما يأتيهِ في جنبِ خيرهم ... إزاحةُ سترِ الجهلِ عن ساحة الصدرِ
فينفق في هذي السبيل نُضارهُ ... ولا ريب ان العلمَ خيرٌ من الدُّرِّ
متى غادروا مغنى المعارف نُصّبت ... لهم في حمى الاوطان الويةُ الفخرِ
يضوعُ لهم في كل نادٍ مآثرٌ ... تردّدها الافواهُ عبّاقةَ النشرِ
بثابهم تعلو البلادُ مكانةً ... ألا فاقتدوا يا قومُ بالوالدِ البَرِّ

الشيخ

وشيخٍ جليلٍ كلّل الشيبُ رأسهُ ... كتكليل غصن الروض بالنَّور والزهرِ

لئن فلّت الايامُ حدَّ مضائهِ ... فآراؤه تغنيك عن رونق الفجر
اذا جنَّ ليلُ المشكلات تألّقت ... له حكمةٌ أزهى من الشهب الغرّ
فلا تخطئ المرمى سهامُ ظنونهِ ... ويقرأ طرس الغيب في صفحة الفكر
فكم نكبةٍ جلّى الشيوخ غيوبها ... ولولاهم ضاقت بهم حِيَل القطر
وكم ازمةٍ كرَّت على الناس كرَّة ... فرُدَّت على الاعقاب بالرأي لا السمر
لقد صقلت كفُّ التجارب ذهنهم ... وبالصقل يغدو الذهن أمضى من البتر
فباتوا على خُبرٍ بأطوار دهرهم ... وعلمٍ بما فيها من النفع والضرّ
اذا كرَّ جيشُ الخطبِ جنَّد فكرُهم ... عليه من الآراء صمصامةً تبري
ألا أنَّ رأي الشيخ أنفع للورى ... من العضب في كفِّ الفتى الباسل الغرّ
له مطلعٌ زانتهُ هالةُ حكمةٍ ... كأني بها من حوله هالةُ البدر
وحِليةُ مشورةٌ في اديبهِ ... عقودُ جمانٍ او شذور من التبرِ
تحفُّ به في كل نادٍ مهابةٌ ... كما حُفَّت الابطالُ بالمجد والنصر
على ان عمر الشيخ مُرٌّ ولو غدا ... على عرش عزٍّ في سما النهي والامر
تراهُ أوان القرِّ يهتزّ رعدةً ... وان حلَّ فصلُ القيظ ذاب من الحرّ
ينوح على عهد الشبيبة نادباً ... قواه، وقد خانتهُ في ساحل العمر
فلا غرو إن يأسف على زمن الصبا ... فقد بات مثل القوس محدودبَ الظهر
وقد وهنت منهُ العزائم والقوى ... واضحى يعاني لوعة العجز والقهر
اذا أمِنَ الاسقامَ كان خيالُهُ ... على قلبهِ نوعاً من السقم والاسر
يرى حولهُ ان المنايا رواصدٌ ... تُنشبَ في احشائهِ مخلب الصقر
وفي يدِها المنحاتُ تنحتُ قبرهُ ... وتحفرهُ كفُّ الردى أيّما حفر
فليس يغيب الموتُ عن عين فكرهِ ... ولا تُصرفُ الانظارُ عن لجة القبر
فيحسبُ ان الموت ماضٍ حسامُهُ ... يقدُّ له الاضلاعَ شطراً على شطر
فتبّاً لدنيا يغمرُ الناسَ همُّها ... ولذّاتها فيها عصيرٌ من الصبر
اذا شئتَ ان تحيا حليفَ سعادةٍ ... فأعرض عن الدنيا وأقبل على البرّ
فانَّ حياة المرء مثلُ سحابةٍ ... تمرُّ مرورَ الطيفِ والمرء لا يدري
ألا فاغرسِ الاحسان وازرع عوارفاً ... لتحرزَ في الدارين اجراً على اجر

وواظِبْ على وِرد المكارم والتقى فتغنمَ خيرَ الاجرِ مع خالدِ الذكرِ
فخيرُ الورى من زانَ أيامَ عُمرهِ بما يبهجُ الالبابَ في موقف الحشرِ

يوسف جرجس المقوري

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

تولَّى ﴿ مصطفى باشا ﴾ في سنة الف ومايتين وسبعة وثلاثين (١٨٢١ م) وحضر للشام. في زمان حكمهِ استكنت الامور وما صار حوادث ثقيلة. وكان جسورًا صارماً ولكنهُ كان عادلًا. بدا منهُ امور مغايرة مطلقاً واستقام نحو سنتين وعُزل. وجاء المنصب الى صالح باشا الذي كان متسلماً في زمان سليمان باشا وتواسط في مادة بطرك الروم والكاثوليك. وفي زمان مصطفى باشا انفتن الجبل (حصلت فيهِ فتن) وصار محاربة قوية بين الامير (بشير) وابن جنلاط وعلي عماد. وغلبهم الامير وهرب المشايخ المذكورون الى حوران. وكان الامير كتب الى عبدالله باشا عن هربهم لحكم الشام. فبالحال كتب الى مصطفى باشا ان يمسكهم ويقتل عماد ويحبس جنبلاط. وحالًا ارسل عسكر دالاتيه وهوّاره نحوْ ستمائة نفر وحاشوا المذكورين (ضيقوا عليهم) وبالخداع وبالمكر مسكوهم. وبعد ما لبسوهم قلابق دالاتيّة جابوهم للشام مكتوفين. وقبل دخولهم للسرايا رفعوا القلابق عن روُسهم (167ª) وتوصلوا حصة (نحو) العصر. فصدر الامر بقطع رأس علي عماد ووضعوه بمخلاية واخذهُ عسكري لعكا. واما الشيخ بشير (جنبلاط قائهم) سجنوهُ بالقلعة مدة ايام ثم ارسلوهُ لعكا. وبعد ايام قتلهُ عبدالله باشا مع شيخ من بيت عماد وراح الجميع سحق الفخار من رداوتهم وسوء افعالهم

﴿ تولي صالح باشا ﴾ فحضر الباشا المذكور واظهر صرامة كليّة بالاحكام والاعيان يداروهُ ويلاطفوهُ. ثم بعد حضورهِ بايام قريبة قبض على اليهود والصيارف وسجنهم بالخزنة روفائيل واولاده واظن ابن اخيه ايضاً. وضايقهم جدّاً بطلب ⁽¹⁾ غروش.

وحينما كان متسلماً في زمان سليمان باشا اطّلع على بعض امورهم ومن وقتهِ ضمر لهم السوء. واعرض للدولة واحضر امرًا عالياً بحبسهم ومحاسبتهم ثم ختم بيوتهم وحاش الدفاتر وضايقهم جدًا واخذ منهم مبلغاً يحرز كل ما كان لهم بالقرايا من دين وشربصه (ربع القرى) وغيره. قيل انهُ بلغ ذلك أنوَف (اكثر) من ثلاثة الاف كيس. وعمل دأبهُ ودابهم (اي جعل دأبهُ التضييق عليهم) وبقيوا منحاشين (مسجونين) اياماً كثيرة. والاوضة (اوضة السجن) انوضع بها محمد هدايا الذي هو اسكندر حمصي نصراني عدوّ لهم لانهم سعوا بقتله قبل ذلك بنحو سنتين. وكان قتل لولا يدخل في دين الاسلام وبالنتيجة انهم قاسوا مرمتة زايدة (عذاباً عظيماً) ودفعوا مالًا غزيرًا. ثم انتقلوا من سجن السرايا لبيت المفتي تحت اليسق بكفالة المذكور

ثم حضر طلب من الدولة بالدفاتر من حين خدموا الى الان فاظهروا تسعة وعشرين دفتر مداخيل الميري كل سنة. وفي اسلامبول فحصوها وما بان خبر ان كان وجد فيها غلط ام مزوقات او هي صحيحة. ومضى مدة طويلة وهم بالسجن واليسق واخيرًا اطلقهم. واماً روفاييل (وانهُ) صار مضطرباً جدًا واشهر غلبة (عوزه) حتى انهُ باع اشيا كثيرة من بيتهِ حتى ملبوس حريمه ومصاغ وغيره بالمزاد. واخيرًا هرب لبغداد وارسل لهُ (167[2]) الباشا اماناً وبعد ايام كثيرة حضر للشام ولزم بيتهُ من بعد ما قاسى شدايد ومحن وكلف كثيرة وبراطيل وغيرها غير المدفوع للخزينة الذي ما انعرف كميتهُ على الصحيح وقيل انهُ أنوَف (اكثر) من خمسة آلاف كيس ومضى امرهم

ثم انَّ الباشا قتل عبد الرزاق واخيه اسماعيل الذين كانوا ماسكين القلعة سابقا وعملوا ذلك الهيجان والاضطراب في زمان حكم عبدالله باشا العظم. فمسكهم نحو الظهر ياسين اغا تفكجي باشي الـذي كان عدوًا لهم وخنقوا اسماعيل اوّلًا بالقلعة. وبعده جاؤوا بعبد الرزاق فوجدوه مات من الخوف

وهذا الباشا كان فهيم وذو حركات ولكنهُ كان بخيلًا جدًا ويحب جمع المال. وفي زمانهِ صار طاعون سنة على سنة. ثم خرب مقام مار جرجس عند تلّ النصارى وسببهُ انهُ يوجد مقام للاسلام قدام مقام مار جرجس وكان خربان. فبهذه السنة لاحظ (قصد) عماره بعض مشايخ وكانوا يترددوا اليهِ ويعملوا تهليلات وخلافهُ.

أن بغضتهم للنصارى حيث يعتبرون المقـام المذكور ففكّروا ان يعدموه . فاعرضوا للباشا عنهُ وانهُ مكان صائر عثرة ويلتقي اليـهِ (يجتمع فيهِ) المعترين (الاوباش) وموضوع للفحشا والمآثم وانهُ لا يليق يصير ذلك قدام مقامهم المذكور . فسألهم الباشا هل ان هذا المقام عمّره النصارى او هو من قديم . فاجابوه انهُ غير معروف زمان عماره ولكنهُ قديم ليس محدث . ففكر الباشا ان ربما يوجد باطنهُ شي من ذهب او فضة . فصدر امرهُ في هدمهِ حالًا ولا احد درى الّا بعد ما انهدم . واوصى بعض الخدم انهم يزيلوا الاساس حتى لا يعود لهُ اثر . ولكن النيّة كانت نوع آخر . فراح الخدام بساعة غفلة قبل غروب الشمس بشي قليل واخذوا معهم اثنين فعالة وهدموا المقام وصاروا يبـالغون في حفر الاساس وتوسيع الحفر داير العمار . وموجود قبور للاموات قريب (168') للمقام . فمن زيادة الحفر نقبوا قبرًا وطلع منهُ رائحة كريهة لزم تركوا شغلهم واخبروا الباشا بما عملوه . ثم ثاني يوم شاع الخبر فارسل البطرك اخذ الحجارة والخشب لبيتهِ . واختطلوا مدة طويلة الى ان تجدد عمار هذا المقام في ايام حكم محمد علي باشا والي مصر . ورجعوه احسن ما كان

واستقام الباشا والي شام نحو ثلاثة سنين وعُزل وبوصولهِ الى اذنه مات بغتةً . قيل ان الدولة تغيّرت عليـهِ وصدر الامر بضبط مالهِ وحينًا بلغهُ ظنّ الامر بقطع راسهِ ايضًا فمن الوهم مات غفـلةً . فجاء المنصب الى والي باشا في سنة الف ومايتين واثنين واربعون (١٨٢٦ م)

﴿ تولي والي باشا ﴾ فحضر المذكور للشام وهذا الباشا كان عندهُ حمق وليس لهُ تفتيش على شي . واستقام سنة واحدة وعُزل وقام واليًا للشام عبد الرووف باشا سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧ م)

﴿ تولي عبد الرووف باشا ﴾ فحضر المذكور للشام وكان لطيفًا عادلًا يحبّ الهدوّ والسلامة . ومن عدلهِ الزايد طمعت فيهِ اهل الشام وبوقتـهِ كانت المَواصلة والكركتليه (اي اهل الموصل والكرك) متعينين (متوظفين) واحوالهم مع الناس غير مرضية وصدر منهم مطاولات واشيا مذمومة فهاجت عليهم الاهـالي وقتلوا منهم وصار شلش بالبلد حتى الباشا تحسّب والتزم يطردهم من خدامتهِ كليًا وطلع الجميع من الشام خوفًا من اهل البلد

ولكن بهذا النوع ازداد طمع الناس بالباشا . وصار يبدا منهم امور غير مرضية حتى بوقت ما قبل ان يطرد المذكورين اعتمد الاهالي مع مشايخهم يقتلون النصارى ويعملون شاش كبير . فعملوا سيارة ومعهم العلامات فحشروا نصراني قنياطي كان عمال يشتغل بالسكة والسيارة مقبلة اليه . فصاروا يطعنوه بالعلامات . دعواهم انهم ما كانوا يقدروا يهدوا (١٦٨ب) العلامات من سرّ صاحبهم فشكوه كثيراً فوقع مايتاً وحملوه على حيوان جابوه لبيته ثم دفنوه . وانعرض للسرايا فارسل الباشا يفحص عن ما صار وحينما تحقق الخبر والمدوان صار الاضاباشي يوبخهم ويتهددهم وهذا كان موصلي فخاف منهم . واما النصارى (فانهم) ارسلوا وسايط يعرضوا للباشا . لانهٔ تداخلهم خوف شديد من اتساع الامور . فالباشا اغتاظ من هذه الاحوال . وفهمة الناس فرجعوا نوعاً من ضرر النصارى وصاروا يتحاشروا بالمواصلة والكركتليه

اخبرنا رجل كان بالسرايا انهُ لما انعرض امر القتيل وكيف قُتل جوراً وتعمُّداً وان هذا ينحكى فيه فيما بعد فكان جواب عثمان باشا الذي هو كيخية عبد الروْوف باشا انهُ لو كان الذي قتلوه مسلماً كان ينسئل عنهُ . واما حيث هو نصراني فليس لهُ غائلة ولا ينسئل عنهُ

ثم بعد ذلك حينما هاجت البلد على المواصلة والباقي حسن عند الباشا طردهم من الشام حتى ما بقي احد منهم . والاحكام فلتت ما عاد امان واستقام الباشا ثلاث سنين وعزل وانقام باشا على الشام سليم باشا سنة الف ومايتين وسبعة واربعون (١٨٣١ م)

﴿ تولي سليم باشا ﴾ فجاء خبر بوصوله لحلب وتعوق اياماً لحضوره للشام وهذا الباشا كان حالهُ مستغرب ظاهره شجيع مهاب والباطن جبان وهو متقدّم بالعمر قليلاً . فبعد حضوره للشام اظهر مرجلة وترتيباً . وبعد ايام قليلة اشهر الاوامر التي معهُ بالديوان ومن جملتها ترتيب الصليان حكم اسلامبول . وتكلم مع الاعيان بصيرورة ذلك كيف كان . وبعدهُ تولج عدد الدكاكين والمخازن علي اغا خزنه كاتبه ودار بالمدينة ومعهُ كاتب لكي يكتب اسماء الناس

فوصل للبذورية محل العطارين والعالم ضايجه جداً . فكل من سأله ما اسمك فيقول لهُ : بطرس . والاخر يقول : بولس . والاخر : جرجس وذلك بنوع الازدراء . ولكن

خزنه كاتبهُ المذكور كان من غرض البلد ولا يهون عليهِ. ولذا صار يراجعهم ويوبخهم على كلامهم الغير مرتب. فهاج عليهِ الناس (169ʳ) وعملوا ضوجه بالسوق وفتشوا على الكاتب ليقتلوه او يضربوه. والتزم علي اغا يروح للسرايا يعلم الباشا بما صار

فانغمّ المذكور من ذلك وثاني يوم عمل ديوان واجتمعت كل الاعيان وصار يحكي معهم الباشا بلطافة كليَّة. وان هكذا خاطر السلطان وانهُ هو ما بيده شي ولا يخصهُ. ثم بدا يتملقهم ويقول: انني انا بريد لكم كل خير ونجاح والكبير فيكم هو اخي والصغير فهو ابني. ولكن لا يهون عليَّ تخالفون السلطان ويثقل خاطرهُ عليكم. فجاوبوه ان هذا الصليان هو ثقيل ولا يمكن الاهالي يقبلوه ويرتبوه على انفسهم. وبعد مراجعات كثيرة ومداورات يقدموها لهُ وهو لا يقتنع منهم ويقول: لازم امشي الامر. ثم نهر فيهم وحاشهم بالكلام وظهر منهُ استعداد لمقاومتهم فهاجت الناس وبتدبير الاعيان في تلك الليلة ذاتها قامت البلد وتسلَّحوا وراحوا ناحية باب الهوى فاعتمدوا يحرقوا السرايا التي فيها متحصن الباشا. وجمع خدمهُ وبعض عسكر والبعض مسك ناحية العمارة وتحصن في جامع المعلق والسكمان بالقلعة. فبدا الحريق من باب الهوى وصار يمتدّ. فلما نظر الباشا هذا الحال انوهم من هذا الشرّ بفكرهِ ان اهل الشام كثيرين وعسكره زهيد. فجاء بفكرهِ (ان) يتوجه للقلعة يتحصن بها. فمن خوف عدم نفوذه صار هو ذاتهُ يحرق السرايا لكي يشغل الناس ويفوز بنفسه. فصار حريق مهول واحترق القاعة الفوقانية والتحتانية وباقي المحلات عدا محلات الخزنة داخلاً التي كان بها ما دخلتها النار. وبهذا الحال نفذ الباشا للقلعة وحينما فهم ذلك اهل البلد كفوا عن الحريق ولكن الخراب الذي صار واهي جدًّا

ثم اعتمدوا على محاصرة القلعة والباشا كذلك صار يضرب مدافع على البلد والجماعة عملوا متاريس داير القلعة ثم بالحارات وحاصروا العسكر الذي في جامع المعلق. وبهذه الطوشات قتل اناس (169ᵛ) كثيرون من الاهالي وجماعة الباشا وطال الحال. والباشا كان يفتكر يجيه اسعاف من جهات وجميع الناس صاروا ضدّهُ. من الجملة عبدالله باشا والي عكا كان يرسل يقوي عبارة اهل الشام (يشجعهم) كذا شاع عنهُ. وبعد مدَّة ايام ابتدوا بحفر اللغم بحيط القلعة وصار منهُ احتساب كبير.

لانهُ موكد من طرش الحجارة من قوَّة البارود تخرب بيوت ومحلات كثيرة فبعد نجاز اللغم صح (وُجد) مَن منع امره

وبالنتيجة الذي صار في مادة سليم باشا ما جرى نظيرها بالشام ولا في غيرها. وكل يوم يزداد الشرّ والبلد حصلت باضطراب كلي. وعُزلت الاسواق ولا عاد بيع ولا شرى وكان ينتظر القضا. اخيراً فرغت الذخاير من القلعة فهاج السكمان على الباشا وطلبوا المعاش. فجمعوا ما بقي من حنطة وخلافهُ وعملوا ترتيب يعطوا العسكر قوت (بحيث) لا يموت فخلص الجميع. واحتار الباشا كيف يعمل. فمن شلش العسكر فكر يسلم القلعة لاهل البلد ويخرج منها فطلب بعض من الاعيان واحكى معهم عن مرغوبهِ وانما يريد يطالع بواسطة حتى لا يحصل لهُ تكدير فاخذه من العامة المذكورون الى بيت قاضي بجانب ديوان الشوره مفروش منظوم. واستقام بالقاعة مع كتخداه وابن اخوه والخدام خارج القاعة. ثم اخرجوا السكمان من القلعة وتعين يا اغا علي عرمان من الشاغور وجماعتهُ ومضى يومان والباشا ميسَّق عليهِ بالقاعة لا يخرج منها وعليهِ غفر. ثم طلب يحضر عندهُ بعض من الاعيان فما حضر احد. ودخل عندهُ الوهم الى انهُ ثالث يوم حضر عندهُ سبعة انفار من قبل المتكلمين فكسروا قمرية القاعة وكانت عالية وارموا النار. وكانوا اخرجوا من عنده ابن اخيه والكيخية فمن وهج النار ضاج الباشا. ثم ضربوا عليهِ بارود ورصاص فما اصابهُ وصار يشالش من نار الدم. وبعد حصة مات وهو يقول سليم باشا راح. سليم باشا مات. وانقطع نفسهُ. (من الناس) من يقول مات (170) من وهج النار ومَن يقول من ضرب البارود. ثم جبوا الكيخية وابن اخو الباشا وثاني يوم قطعوا اعناق الاثنين. وكان ذلك افتراء وعدوان لان هؤلاء ليس لهم ذنب يوجب القتل ولا غيره. حتى والباشا نفسهُ افتروا عليهِ لانهُ ما ظهر منهُ ادنى اذى نحوهم غير حتمهِ على تتميم الاوامر التي بيدهِ. ولكن ان كان ضامر لهم ضرر آخر لا نعلم واماً بالظاهر فما لهم عذر يعتذروا بهِ سوى انهم افتروا عليهِ وعلى جماعتهِ بنوع مستغرب منافي الشرايع كلها

ثم بعد قتلهم الباشا اخذوه عريان بغاية البهدلة للقامة مع الاثنين خاصته من بعد ما داروا بروؤسهم اغاب البلد. ودفنوا الجميع داخل القلعة والشربجي الداراني ورشيد نسيب الشوملي مسكوا البلد

ثم بعده عملوا ديوان الاعيان والافندية وحصل مذاكرة في كيف يقتعوا السلطان فيما عملوه . والحال (ان) الذي عملوه لا يتدبر ولا يجوزهُ عقل بشري . وظروفهُ تحرق الدم وتهيج الغضب والرجز . ولكن حيث صار الذي صار بدهم يطلعوا بخيال اصبعهم . فقرّ الرأي ان يكتبوا عرض للسلطان ويقرروا لهُ عن رداوة نية الباشا في حقهم (انهُ) كان مبتدي في انشا . مظالم ومقاهرات لجلت العامة منهُ وظهر منهم بعض شيء يوجب النفور ولكن هو ذاتهُ ظهر بالقساوة الزيعة وحرق السرايا وقصدهُ يحرق البلد مع ناسها . فمن الوهم الذي دخل على الناس ما قدروا يردوا قهرهم ويسلموا منهُ الا بأعدامهِ . ثم يطلبوا رواقة خاطر السلطان عليهم وانهم عبيدهُ وما شاكل ذلك

فلما وصل العرض المذكور لاسلامبول ما ظهر جواب ولا ايجاب سوى انهُ صدر امر السلطان بقيام وزير للشام حسين باشا . وقيل انهُ حضر كتابات من اسلامبول لبعض اعيان الشام من ارباب الدولة جواب كتابات راحت لهم من الشام بخصوص جلب خاطر الدولة لتجوهم وانهم طمّنوهم بعدم صيرورة شي مكدر لهم . وهذا صار تصنعاً وخداعاً (١٧٠) لان الوقت صار قريب لسفر الحاج . فتوكأ الامر لشأن (بسبب) الحاج . وهذه النادرة صارت في سنة الف ومايتين وسبعة واربعون (١٨٣١م)

﴿ تولي حسين باشا ﴾ ثم حضر الباشا المذكور بوجه السرعة لاجل ينظم مهات الحاج . فبوصولهِ لحمص اعتراه مرض شديد ومات ودفن هناك . وبالحال توجه خبر وفاته للدولة فارسلوا المتصب الى علوش باشا والي ايتونية وانهُ يقوم بنهاية العجلة لمداركة الحاج وكان ذلك بالسنة المذكورة

﴿ تولي علوش باشا ﴾ فحضر للشام بعسكر زهيد وموكب مختلف عن حال من هو وزير قليدو . وذلك خوف واحتساب حيث ان اهل الشام حصلوا بجريَّة كاملة وبجاسرة بليغة . فالباشا سلك معهم بغاية اللطف ولا يقبل عليهم شكاوي ولو كانت من بعضهم . واجتهد في تدبير سفر الحج فتمَّر الامر وما راح الحاج بهذه السنة لعدم وجود السلامة

واذا بهذه الاثنا . في ابتداء سنة الف ومايتين وثمانية واربعون (١٨٣٢م) تحرك محمد علي باشا والي مصر لاخذ الشام وحلب وكل بلاد الشرق وارسل ولده

ابراهيم باشا بعسكر وافر ومهمات الحرب. والتفت لاخذ عكا اوَّلًا وحاصرها بقوَّة شديدة. وبعد اربعة شهور وينيف امكنهُ يملكها. ومسك عبدالله باشا وارسلهُ للاسكندريَّة لعند ابيه. ثم السواحل جميعها طاعتهُ. وحضر للشام وصار شلش زهيد وملكها. وعلوش باشا حين شاع خبر عكا هرب من الشام

﴿ تولي محمد علي باشا والي مصر ﴾ ثم توجه ابراهيم باشا من الشام بعد ما اعطى نظام بالشام والسواحل. توجه لحلب وادنه وتحارب مع عسكر السلطان ولحقهُ لايقونية وظفر بهِ. ومسك وزيره الاعظم وقدم لهُ كل اكرام ثم اطلقهُ. وضبط البلاد المذكورة محمد علي واولاده رغماً عن الدولة العثمانية (١٢٤٧) وصار لهم من يسندهم. واخيراً استقرَّ الحال بينهم وبين الدولة على مالٍ معلوم كل سنة يدفعوه للدولة قيل انهُ ستون الف كيس بعقد خمسة سنوات ويحكموا المحلات المذكورة حلب والشام وادنه ثم ما يتبع ذلك حماة وحمص وسواحل بر الشام ونابلس والقدس ويافا وحيفا وغزة بكل حريتهم والسلطان لا يسأل عنهم بشي. وجعل ابراهيم باشا مقرَّه في انطاكية. (وكان) يحضر احياناً لحلب والشام وعكا في معاطاة الحكام ويرجع لانطاكية

وجعل محمد علي باشا حاكمًا بالشام محمد شريف باشا وهو حكمدار عرب بستان وخلص العقد مع السلطان وتجدد ايضاً عقد ثاني. وفي بضع (اثناء) العقد الثاني تحرَّك السلطان لاستخلاص البلاد ورجوع المذكورين لمصر مقرّ ولايتهم. واشتدت الامور بينهما وظفر ابراهيم باشا بعسكر السلطان ورجع حلف

وبوقتهِ تشوش السلطان محمود وتوفي وجلس عوضهُ ولدهُ عبد المجيد. ووقفت الحروب اياماً.

ثم جدَّ حادث جديد باتفاق ملوك اوروبا مسكوب نمسا بروسيا انكليز الذين ظهروا ضدَّ الدولة المصريَّة واتفقوا مع السلطان عبد المجيد برفع يد محمد علي وولده ابرهيم من حكم بلاد سوريا ورجوعهم لمصر. وصار ذلك بجمعية في لندرة وقر الرأي حيث كان وعلى اي وجه كان لازم تمام ما اتفقوا بهِ برجوع الاماكن كلها لادارة السلطان عبد المجيد. ولكن ابراهيم باشا وابوه لم يرتضوا يتركوا ذلك وقصدوا المحاربة والجهاد بغاية امكانهم ولكن حضور العمارة الانكليزيَّة بشالتهم لانهم ملكوا السواحل واتفق جبل الدروز مع الانكليز والعثملي. ومع ذلك ابراهيم باشا

حضر للبقاع ثم طلع للجبل وعزم على محاربتهم واتصل للسواحل لاجل يحارب الشملي والانكليز. ولكن ما استفاد شيئاً سوى تلاف عسكره. ولو لا يطابق معهُ الامير بشير حاكم الجبل ما كان تورط مع عسكره بدخوله للجبل. واذ كانت الفتنة اشتدت (171ʼ) بين اهل الجبل والامير بشير ونظروا التعب يزيد والخراب متصل سيما ان بمطابقة الامير خليل حرق ابراهيم باشا بعض قرايا الجبل وقتل رهبان وسبي حريم فاقتضى ان اهل الجبل جمعوا قواهم وبجراوة ومرارة نفس حاربوا عسكر ابراهيم باشا. والتزم يترك الجبل ويحضر للمعلقة قريب زحلة

وبغضون ذلك اخذ الانكليز عكا بظرف ثلاثة ساعات الّا ربع على التدقيق. ومن ذلك دخل الوهم على ابراهيم باشا وكذلك الامير بشير

وبوقته ارسل الانكليز كتابة باطنها خداع ومكر وبالظاهر يحثنوا له يحضر لعندهم ويطلع على الاوامر السلطانية التى حضرت بشانه. فالامير من وهمه من هيجان اهل الجبل واخذ عكا وذهاب ابراهيم باشا محسن عنده (ان) يتوجه لصيدا او بيروت وصحبته اولاده. وكان ذلك وبالاً عليه. لان بوصوله لصيدا ثم لبيروت ومن تبليغ اهل الجبل بالردي في حقهِ حالاً صدر الامر بنفيه الى مالطا في مركب انكليز. وتولى الجبل حاكماً برضى الحكم والاهالي الامير بشير قاسم شهاب واستكنت امور الجبل نوعاً

ثم ان ابراهيم باشا ثبت بالمعلقة تحت زحلة وابتدأ يستجرّ العسكر من اراضي حلب وبرّها وارسل جاب طقمه ومصالحه من انطاكية. القول (يقال) ان الانكليز كتبوا الى محمد علي بأن يرسل يطلب ولده ويفرغ البلاد من العسكر وان كان يتباطى بذلك فيضربوا اسكندرية ودمياط ويعظم الشر والخراب ولهذا كتب لولده يحضر مصر بالعسكر

ثم بعد ايام حضر ابراهيم باشا للشام وبدأت العساكر تورد للشام واجتمع بالشام عساكر كثيرة. ودخل الوهم والاحتساب على اهل الشام وكانت ايام مكربة. والباشا اظهر قساوة كلية بهذه الكم يوم التي استقام بها بالشام. وكان على ذنب خفيف يقتل بقساوة. حتى من الجملة قتل بيده ثلاثة انفار خاصته اشتبه عليه ان قصدهم يهربوا. وهكذا (172ʼ) انقضت الايام بالكرب والكدر. الى انهُ في

ستة ايام من شهر القعدة قام بالعسكر على طريق المزيريب قاصداً مصر وحصل على مرمتة (عناء) وتعب زايد بسبب الشتا والبرد لان سفره كان في كانون الاول. وحينئذٍ هدى اضطراب الناس

وبعد ذهابه بثلاثة ايام حضر احمد اغا اليوسف الكردي من صيدا بامر عزة محمد سر عسكر انهُ يكون متسلم قيمقام ويضبط البلد. وهذا هرب من الشام قبل سفر ابراهيم باشا حتى قبل حضوره من البقاع للشام. وراح لصيدا تداخل مع العثملي والانكليز والمذكورين جابوا له نوع وظيفة قبوجيه. ثم مسك البلد. ولو تنترك مدة ايام بغير حكم لكان صار شلش عظيم

ثم بعد ايام قريبة ورد اخبار ولاية الشام الى علوش باشا سنة الف ومايتين وستة وخمسون (١٨٤٠ م). وكان ولاية محمد علي على عرب بستان نحو تسعة سنين ناقصة غير كاملة. وارتفع منها بنوع عجوبة وما جاء بفكر احد ينتهي الحال هكذا. ولكن كذا صار من قساوة الاحكام. ولو انهُ صار ضبط وعدم مظالم بالظاهر. وكل انسان ماشي بطريقه لا تعدّي ولا غيره. ولكن مسك عسكر نظام وعدم انصاف في امور كثيرة من الحكم ذاته ويتبعه الحاشية والعسكر الذين طمعوا في اهل البلد والحاكم لا يسمع ولا يقبل عليهم دعوى الّا بنوع قليل. وهكذا من عدم الملاحظة والتدبير حصل ما حصل بسماح الله تعالى

وفي زمان حكمهِ حصل زلزلة قوية نهار الاحد في عشرين كانون الاوَّل قبل الغروب بساعة ونصف سنة الف وثمانماية وستة وثلاثين (مسيحيَّة) استقامت اقل من دقيقة ما صار ضرر بالشام انما في صفد وساحل عكا حصل خراب وقُتل اناس كثيرون. ثم في اواخر حكمهِ قتل علي اغا خزنه كاتبي من اعيان الشام مشهور وكان صديقاً لابراهيم باشا. واماَّ شريف باشا (فانهُ) كان يبغضهُ جداً وكان علي اغا يفرط في حق شريف باشا وغيره من طمعه في ابرهيم باشا فسعى شريف باشا وعمل كل الجهد في تغيير (172ᵛ) الخواطر عليهِ واثبت عليه خيانتهُ وقطع رأسهُ على الشاع

﴿ تولي علوش باشا ثاني مرَّة ﴾ حضر المذكور للشام وحصل فرح وسرور بالبلد كانَّهُ حكم جديد. ولكن هذا الباشا جامد ما هو متحرّك ومقيم بالسرايا والكتخداه هو الحاكم

وبوقته ارتفعت دعاوي كثيرة (فكان) يحذفها للشرع. وكل دعوى ان كان سياسية او تجارية او عرفية يرسلها للشرع. ولكن قبل ارسالها الى المحكمة يصدر امره بخدمة وافرة يقبضها القوّاصه والخدام. مثلاً واحد اشتكى ان له عند اخر الف غرش وناكرها عليه. فيرسلهم الكيخية المذكور الى المحكمة ولكن يامر بخدمة وافرة ماية غرش ومايتين. حتى انهُ اتفق رجل ادعى بالف غرش فاخذ منهُ ماية وخمسون غرش وارسلهم للشرع. فما ثبتت لهُ الالف غرش وخسرها مع الخدمة التي دفعها. وغيره لهُ حساب في احدى القرايا عند واحد عاصي بدفعها ويحادف من شهر الى شهر. فقدَّم صاحبها عرضحال يترجا بتحصيلها. فصدر الامر انهُ يروح للشرع. وهكذا كل مادة مهما كانت يرسلها للشرع وكثرت الدعاوي صاغ وشرك وكثرت الشهود المنافقين. والشرع يثبت حسب الظاهر

فضاجت الناس جداً والباين راح تلخيص من الشام وربما من قنصل الانكليز كتب لصيدا وبيروت ومن هناك راح اعراض للدولة. وصدر الامر بعزل الباشا من ولاية الشام فصارت الى نجيب افندي جاويش السلطان. وكان ذلك في ابتدا سنة الف ومايتين وسبعة وخمسون (١٨٤١ م)

﴿ تولي محمد نجيب باشا ﴾ فمضى ايام كثيرة ولم بان حضورهُ ولا اي وقت يحضر. وبقي احمد اغا اليوسف متسلماً كما هو. وشاع خبر ان الباشا معزول واقاويل كثيرة. الى انهُ في شهر صفر حضر بالبحر الى بيروت ومنها (173) للشام وصحبتهُ دفتردار اي مباشر الخزينة. وتصرَّف التصرف التام فيها نظر المناسب بعمالهُ. والباشا المذكور خدم السلطان محمود سنين كثيرة وكان ارسلهُ معتمد لمصر في مادة الوره وبعدهُ في مادة كريت وقبلها في مادة الوهابي. ثم قيل انهُ ارسلهُ لبلاد المسكوب. وهو خبير بكل الاشياء. وجلست الامور في غاية الراحة والامل بالله تعالى يحصل حركة بالاسباب ويرتفع الغلا وتنسى الناس ما مضى

(انتهى القسم الاوَّل ويليهِ القسم الثاني)

تاريخ الحرير في بلاد الشام

للمسيو غستون دوكوسو المرط بقنصلية فرنسة الفخيمة في بيروت (تتمة)

وفي القرن السادس عشر دخلت تجارة الحرير الشامية في دور جديد فصار اهل صيدا وبيروت يصدرون الى الخارج محصول القز قبل اصلاحه وغزله. قال الكافليار دارفيو قنصل فرنسة في حلب وصيدا في كتاب مذكراته (Mémoires du Chevalier d'Arvieux) سنة ١٦٦٠: « ان تجارة الحرير في بيروت قائمة على ساق فانَّ قوافل دمشق وحلب ومصر تتردد اليها حيناً بعد آخر ولا سيا في أبان قطف الحرير فيتسوَّقون منهُ الكميات الوافرة لمعامل الاطلس والمخمل والاقمشة الأُخرى التي في جهاتهم. . وللفرنسويين في بيروت اربعة او خمسة من العمَّال فقط تحت نظارة تجار دولتهم في صيدا الَّا انهم يعرفون احسن من سواهم ما يختصّ بصناعة الحرير نظرًا لاقامتهم في بيروت طول السنة فيستحضرون منهُ افضل الاجناس وابدعها على خلاف التجار الغرباء الذين لا يستوطنون بيروت فانهم اذا حلُّوها لبثوا فيها زمناً قصيرًا وابتاعوا ما حضر من الحرائر مدَّة حاولهم الوقت لئلا يتأخروا عن الرحيل مع القوافل اذ لا يمكنهم الرجوع وحدهم خوفاً من شذَّاذ العربان المتلصّصين »

وممَّا اخبره هناك ان الأُيان كانوا يتباون على حرير لبنان ويعلون قدرهُ. وكان اهل كسروان يصدرون كميات وافرة من الحرير الخام الاصفر ومنهُ شكل آخر اغلظ شبيه باونيه كانوا يقطفونهُ في اقليم الشوف ويتخذونهُ لصنع المخمل. امَّا حرائر طرابلس فكانت بيضاء ناصعة وراجحة الوزن فكانوا يبتاعونها بمبالغ طيبة ويستعملونها للانسجة المزركشة بالذهب والفضة. وكان الحرير البيروتي يُعتبر خصوصاً لمتانته فيصطنعون منهُ الانسجة الدقيقة المتاوّنة للعيون (moires). وكان تجار الفرنج في بيروت اذا استحضروا حاجتهم من الحرائر جعلوها رُزماً وارسلوها الى صيداء امَّا بحرًا اذا امنوا عليها واماً برًّا اذا تخوَّفوا القرصان ثم تُرسل من ثمَّ الى فرنسة وكان تجارهم في بعض السنين يبتاعون منها ما يساوي ٤٠٠,٠٠٠ دينار

وكان لصيداء ايضاً معامل حريرية واهاها يغرسون حول مدينتهم اشجار

التوت الّا ان حريرهم كان من جنس ادنى. وقد روى مُرسلان كبوشيان في صيداء في القرن السادس عشر ان حرير بيروت كان يُعدّ كالصنف الاجود ويليه حرير طرابلس ثم حرير صيداء. على ان الحرير الصيداوي مع دناءة جنسهِ كان كثير الرواج ولا يكفي لكلّ الطلبيّات كما افاد الكاثليير دارڤيو

وكان لمبيع الحرير في صيداء وطرابلس وبيروت قيصريات يقصدها الباعة فتوزن فيها الشرانق وكل اصناف القزّ الخام او المغزول والمنسوج على اوزان رسمية. لكنّ السماسرة اخذوا مع توالي الزمان يطوفون القرى فيبتاعون محاصيل المواسم من الفلاحين ويجلبونها الى مدن السواحل. وبذلك ينجو اهل لبنان من الغرامات التي كان يفرضها عليهم عمّال الدولة عند نزولهم لبيع حرائرهم امّا نقدًا وامّا عينًا. وكان قناصل فرنسا قد جعلوا ضرائب على حرير تجارهم يقتضونها منهم سنويًّا وربما حصلت من جرَّاء ذلك بينهم مشاحنات ودعاوي طويلة قضى فيها ملوك فرنسا

ولمّا كان القرن الثامن عشر زاد طمع حكّام الدولة العثمانيّة في تجار الحرير فاثقلوا عواتقهم بالضرائب حتى اعرض كثير منهم عن هذه التجارة الخاسرة فكسدت سوقها. ولم يعد الفرنسويُّون يتسوقون خام الحرير من بلاد الشام وانَّما اقتصروا فقط على ابتياع الانسجة الحريرية التي كان يحيكها اهل حلب ودمشق وطرابلس وحمص وحماة وبيروت كالزنانير والكفّيات والاعبئة واجناس الاطلس والبروم والمخامل

واصحاب الاسفار الذين كتبوا في ذلك العهد بعد وصفهم لتجارة الحرير في انحاء الجبل والسواحل الشاميّة يبدون اسفهم على تقهقر هذه الصناعة ويعللون ذلك بقلّة اشجار التوت. واذا قال احد للاهلين: ما بالكم لا تغرسون اشجارًا جديدة ؟ اجابوه: « أأنت وحدك غريب في هذه البلاد ؟ ألا تعلم أنّنا اذا بنينا دارًا او غرسنا غرسًا بثّت الحكومة علينا العيون وضربت علينا الضرائب لزعمها بأنّنا من اصحاب الثروة. فاذا انكرنا ضربونا بالعصي على اخماص الاقدام (بالفلق) ريثما يبلصونا مالنا. واذا اقررنا بهِ ضربونا ايضاً زاعمين انّنا اغنى ممّا صدقناهم »

وكما كسدت سوق الحرير الخام في انحاء الشام اخذت ايضاً صناعة نسجهِ وصبغهِ تتأخر شيئاً فشيئاً لسوء تصرُّف العمَّال. وكان الفرنج في تلك الاثناء قد حسّنوا معاملهم الحريريّة واخترعوا ادوات جديدة لنسج الاجواخ والاقمشة الحريريّة وضروب

الاكسية مع احكام صبغها حتى صاروا ينقلونها الى الشام ويبيعونها في مدنها . وقد اتّسعت خصوصاً معاملات تجار لبنان مع دمشق فباعوا في الفيحاء منسوجاتهم الحريرية

لكنَّ هذه الحرائر والمنسوجات الاوربيَّة لم تنفق في غير المدن الكبرى فبقيت انحاء الدولة العثمانيَّة تطلب مقطوعات حريرها من دمشق وحمص وحماة وحلب وصيدا، وصور ودير القمر الى اوائل القرن التاسع عشر حيث كثرت الحروب وساءت الاحوال وسقطت المعاملات فأصيبت صناعة الحرير بضربة لازبة حتى ان مدينة بيروت سنة ١٨٦٠ لم يبقَ فيها نَول واحد لنسج الحرير وكذلك كادت حائك طرابلس وصيدا تتلاشى في ذلك العهد فصارت اثرًا بعد عين

لكنَّ المدن الداخليَّة لم تزل في حركتها الصناعيَّة فكان عدد المناسج الحريرية في دمشق ٣٠٠٠ وفي حلب ٦٠٠٠ امَّا لبنان فكان عدد انوالهِ ٥٠٠٠ منها ٤٠٠٠ في دير القمر و٥٠ في الزوق و٢٠ في زحلة وكانت مصنوعات حلب دون مصنوعات دمشق لكنَّ الاقبال على الاولى كان اعظم لتهاود اسعارها

وبعد حوادث السنة ١٨٦٠ اذ عاد السلام الى الشام استأنف ايضاً تجار الحرير مساعيهم في ترويج هذه الصناعة فبلغ عدد عدة مناسج الحرير سنة ١٨٧٠ في ولاية دمشق ٢٠،٠٠٠ وفي ولاية حلب ٣٠،٠٠٠ وازدهرت تلك الصناعة في حمص وحماة حتى ان عدد انوال حمص كان لا يقلُّ عن ٥٠٠٠ وحماة عن ١٠٠٠ فبيعت منسوجاتها الحريريَّة في السنة بنحو ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك الثلث منها نفق في سوريَّة والثلثان الآخران بيعا في برِّ الاناضول

على ان هذه النهضة الصناعية بين الوطنيين لم تثبت زمناً طويلاً بل وجعت القهقرى منذ ذلك الحين الى زمننا الحاضر وذلك لاسباب: منها الازمات المالية التي حصلت في مصر فصارت طلبات الحرير تقلّ سنة عن سنة. ومنها مزاحمة بعض المدن التركيَّة لتجارة الشام فان مدناً كثيرة كادرنة وبروسة ولاسيا عينتاب جعلت تنسج ضروب الحرائر ولم تزل دائرة اشغالها في اتساع حتى يوماً فانَّ عينتاب في عهدنا تشغل نيفاً و٣٠٠٠ نول

ومن اسباب تخلُّف صناعة الحرير ايضاً في زماننا شيوع الملابس الاوربية بدلًا من الثياب الشرقيَّة. فان اغنياء الشرقيين الذين كانوا يتباهون بلبس الحرائر والملابس

الفاخرة يفضلون في الغالب الازياء الفرنجية مع بساطتها ورخص اسعارها

وزد على الاسباب السابقة مداومة الشرقيين على خطتهم القديمة في نسج الحوائج فلا يتهم ان يصنعوا منها كميات وافرة بينا ترى العامل الاوربية تحسّن كل سنة ادواتها وتوسع نطاق اشغالها بحيث اضحت منسوجاتها ادق وامتن واجمل من مصنوعات الشام

بل دخلت في بلادنا الصناعة الاوربية مع طرائقها النسجية المستحدثة. وكان اول من انشأ معملاً للحرير في لبنان المسيو برتاليس قبل سنة ١٨٤٠ فكان يشتري اقة الشرانق من ١١ الى ١٢ قرشاً ثم زادت بعد مدة الى ان بلغت ٢٠ الى ٣٥ ق وبقي على مواصلة العمل وتوسيعه وتحسينه الى ان غلبت الصناعة الجديدة على الصناعة الجارية سابقاً في لبنان فما مرّ عليه ١٥ سنة حتى بلغ وزن المنسوجات المصنوعة على الزي الجديد ٩٠٠,٠٠٠ اقّة ولم ينسج على الطريقة القديمة سوى ٣٠٠,٠٠٠ اقة منها ١٠٠,٠٠٠ اقة لم تُنسج تماماً على الطريقة البلدية بل على طريقة متوسطة

وازدادت هذه الحركة بعد حوادث سنة ١٨٦٠ بهمة راهبات المحبة فانّ هؤلاء الفاضلات اذ انشأن الملاجئ لتربية الايتام وجدن في انشاء المعامل الحريرية وسيلة لسدّ نفقات هذا المشروع الخيري. وكنّ في اوّل الامر يستعملن المناسج البلدية فلما كانت السنة ١٨٦٢ استحضرن من ليون منسجاً بخارياً ذا عشرة انوال من صنف جاكار (Jacquard) فركّبهُ احد عمّال ليون وهو لا يزال ماشياً حتى اليوم وقوة المحرك تبلغ اربعة احصنة بخارية ويشتغل في تجهيز لوازمه نحو عشرة من اولاد اليتم تحت نظارة احدى الراهبات ويرافق هذه الاداة البخارية التي بها تُستحضر خيوط الابريسم ادوات أُخر لاسلاكها وتجهيز لحمتها ونسج سداها فيقوم على كل ذلك عددٌ من الايتام. وهناك اداة لرقامة الانسجة ثم ادوات غيرها لصبغ الحرير على الطرائق الجارية في معامل اوربة

امّا الحرير الخام فهو من اطيب الاصناف والراهبات يجلبنهُ في معاملهن الحريرية في طرابلس حيث تحلّ بناتهنّ اليتيمات الشرانق التي يشترينها باسعار تتراوح بين ٣٦ فرنكاً الى ٤٠ في الاقة ويبلغ مجمل ما يخرج سنوياً من مناسج راهبات المحبة من ٣٠٠٠ الى ٥٠٠٠ متر وكل هذه الانسجة مجهزة على طريقة جاكار فيمثّل عليها

التجار من اهل الشام وغيرهم بكل رغبة. هذا الى اصناف أُخرى تُطلب منهنّ ايضاً ومما يساعد على نجاح هذه معامل الحرير عند الراهبات انّ ايتامهنّ اذا تعلموا فنّ نسج الحرير على الطريقة الاوربية يداومون على العمل سنين طويلة عندهنّ اذ لا يجدون عند غيرهنّ ربحاً لصناعتهم ولا تجهيزاً كتجهيز معاملهنّ فيفضّلون لزوم الشغل عند الراهبات

امّا الكراخين الوطنيّة فان تجهيزهـا غالباً على الزيّ القديم اي انها تدور على دواليب خشبيّة قليلة الاتقان مختلفة الاحجام اكبرهـا الكـرواني ثم الدامورانيّ ثم البتروني. والشرانق تُحَلّ في موجل كبير يُشعَل تحته الحطب فتبقى الحرارة على درجة واحدة

والحرير المستحضر في الكراخين السورية على صنفين صنف منها فاخر مُختار يُدعى الاسكندراني ويُنزَل عادة على الطريقة الفرنجية وهذا الجنس تروج سوقهُ في اوربا وتنقلو اسعارهُ حتى تُباع الاقّة منهُ الى ٣٠٠ قرش. والصنف الآخر يستخرج من شرانق ادنى صنفاً كالملطخة والمثقوبة والمزدوجة (douppions) فتُطبخ ثم تُندف بآلة الحلاجة وتجوّز منها شلل خيطان ينسجون منها اقمشة متهاودة الاسعار وربما خاطوها بالقطن. وثمن الاقّة من الجنس الثاني يتراوح بين ١١٥ قرشاً الى حد ١٥٠

امّا كمّية انسجة الحرير السنويّة في بلاد الشام فتبلغ للصنف الاوّل المعروف بالاسكندراني من ٣٥٠٠ اقّة الى ٤٠٠٠ يبتاع اهل دمشق قسمها الاكبر اي ١٥٠٠ اقّة ثم اهل حمص وحلب كلّ منهما ٥٠٠ اقّة ثم حماة ٤٠٠ اقّة. امّا الصنف الثاني فتبلغ كمّية مواسمه نحو ١٢,٠٠٠ اقّة يُنزل نصفهُ تقريباً في بيروت ولبنان والقسم الآخر يباع في بلاد الشام والاناضول والاستانة. امّا مجموع ما يُنزل من الحرير في معامل الشام على اختلاف مصادره كبروسّة وتفليس والعجم والهند والصين ويابان فلا يقلّ في السنة عن ١٠٠,٠٠٠ اقّة

واعلم ان المنسوجات والمصنوعات الحريريّة الشائعة في بلاد الشام كثيرة الانواع منها اسلاك الخياطة واصناف البرم والازرار والمناديل المخرّمة والعرانيس والشالات والاعبئة التي يُباع الواحد منها من ٢٥ الى ٣٠ قرشاً اذا كان ساده ومن ١٢٠ الى

١٥٠ اذا كان منسوجاً بالقصب او الفضة ومنها الزنانير والعصائب واشكال البروم ومنسوجات السروج التي يبلغ مبيعها في دمشق ١٠٠,٠٠٠ فرنك سنوياً

وشاعت في حمص وحماة منذ نحو عشرين سنة الاقشة المعروفة بالحميدية والمصرية والهندية والملس ويدخل في نسجها القطن الّا صنف الملس الذي هو من الحرير الخالص فيباع الذراع من الاولى من ٤ الى ١٠ غروش والملس من ٨ الى ٢٠ غ

واشتهرت زوق ميكائيل بمنسوجاتها المعروفة باسمها (وقد مرّ في المشرق فصل في وصفها ٤:٤٤١) فيصطنعون الامتعة البديعة كالستور والبردايات والوسائد والصادغ فيرسمون عليها الرسوم وينسجونها باللحم ولهم اعمال مذهلة بدقّة الوشي والتطريز والتبرقش اكسبت اصحابها شهرة واسعة حتى انهم جاروا بتطريزهم الصور الشمسيّة والتصاوير اليدوية

ومن مصنوعات الحرير الشائعة في بلاد الشام الكفيّات المختلفة الكبر والتركيب يصنعون منها في السنة نحو مئة الف فيباع ما كان منها حريرًا خالصاً الى حد ١١ فرنكاً امّا الممزوجة بالاقطان فيباع فرنكاً واحدًا الى فرنكين

ولا تزال دمشق غالبة على سواها بالمنسوجات الحريريّة القطنيّة المطرّزة بالنقوش والزهور او المزركشة بخيوط الفضة والذهب تُباع القطعة منها (في طول ستة او سبعة امتار وعرض ٧٠ سنتي) من ١٦ الى ٢٦ فرنكاً ويصدر من هذا الصنف نحو ٢٠٠,٠٠٠ من دمشق وحدها

امّا الصنف المعروف بالمجوم فاهل مصر يبتاعون منه في الشام الى ٩٠,٠٠٠ قطعة تبلغ القطعة من ١٢ الى ١٦ مترًا في عرض ٥٠ سنتي والقطعة تساوي خمسة فرنكات الى سبعة والمصريون يفضّلون هذا الصنف لخفّته

ومنها الأَلَجات وهي الانسجة ذات الالوان المخطّطة يبلغ طولها من خمسة امتار ونصف وعرضها من ٥٠ الى ٥٢ سنتي على اختلاف اسعارها وقدر ما يدخلها من القطن فتباع القطعة من خمسة فرنكات ونصف الى ١٨ فرنكاً

يُضاف الى تلك المصنوعات الكَرِيشات التي يُنسج منها ١٥٠٠٠ في السنة تُباع الكريشة على حسب وزنها واكثر من يستعملها اهل حوران. ثم الملاءات تُغطي بها النساء رؤوسهنّ وتُباع الملاءة من ١٨ الى ٤٥ فرنكاً ويُنسج منها في الشام ١٤٠٠٠

قطعة تتراوح القطعة بين ٤ الى ٦ امتار طولًا في عرض ٦٨ سنتي. ثم الشالات التي تقلّد فيها اهل الشام شالات الهند والعجم ثم غلبوهم في تلوين اشكالها. ويصنع منها في أيامنا نحو ٦٠٠٠ قطعة وثمن القطعة من ٦ الى ١٠ فرنكات

واذا حسبت مجموع المنسوجات التي تُصطنع في الشام في عهدنا وجدت ان قيمتها لا تتجاوز في السنة ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات . ولعلّ هذه الاثمان تهبط ايضاً اذا بقيت سوريّة على طرائقها النسجية القديمة

ابن وائل

مأساة تاريخيَّة نثريَّة ذات ثلاثة فصول يتخلّلها شعر جاهلي

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني

يمثّل المرسح غرفةً في حصنٍ لبني بكر

المشهد الاوّل

المجرس وحدهُ

نشيد

اظلم الكونُ ووافانا القَتامْ ... وتوارى النورُ في جنح الظلامْ
بعدكم يا والدي عيشي حرامْ ... وعلى الدنيا ومن فيها السلامْ
والدي كالجمر اضحى كبدي ... منذ نأيتم عن حمانا يا همامْ
كيف لا ابكي وانتم سندي ... في قيودٍ عرضةً لابن اللئامْ
كيف لا ابكي وبكرٌ قُهرتْ ... تطلبُ السوء عليها انتصرتْ
كم رجالٍ بكرُنا قد خسرتْ ... يا لبكرٍ يا لآل الانتقامْ

المجرس (بعد النشيد)

اهاجَ قذاءَ عيني الادِّكارُ ... هُدوًّا فالدموعُ لها انحدارُ
وصارَ الليلُ مشتملًا علينا ... كأنَّ الليلَ ليس لهُ نهارُ
وبتُّ أُراقبُ الجوزاءَ حتى ... تقاربَ من اوائلها انحدارُ

أصرفُ مُقلتي في إثر قومٍ تباينتِ البلادُ بهم فغاروا
وابكي والنجومُ مطلّعاتٌ كأَن لم تحوِها عني البحارُ
دعوتك يا ابي لم تُجِبْني وكيف يجيبني البلدُ القفارُ

اجل اقفرت البلاد وقد تباعد سيّدها وعمادها. اقفرت في وجهي وقد نأى ابي الحارث (يقف) أبي الحارث أسره الاعداء وكبّلوه. آه! لا كانت ساعة اتى فيها اليَّ رسول بكر واخبرني بنصر تغلب. تغلب حال عدد رجالها دون شجاعة ابطالنا. بثر تغلب أسروا ابي وخالي جسّاساً واوقعوا بها الضر والنكال (يجلس) ... ما العمل وقد تشعّبتني الهموم وتقسّمتني الغموم. أأنهض بما بقي معي من الفرسان في الحصن فأزحف على تغلب وانقذ أبي وخالي؟ ولكن أختي جليل... جليلة أمي لمن اتركها؟ ومن يُناضل عنها ان نأيتُ؟.. بعثت الى بني يشكر أستنجدهم على العدو ولكن هيهات أن يُلبّوا طلبي وقد امتنعوا عن نجدة ابي اذ استنجدهم ... (سكوت هنيهة - يقف) أستنهض همة قيس صديقي. أطوف معهُ أحياء العرب واثير ثأرهم على بني تغلب فلابدَّ لي ان اخلّص الاسيرين (يحاول الخروج فيدخل عمرو الرسول ويوقفهُ)

المشهد الثاني

الهجرس وعمرو

عمرو ابن السيد مولاي. أبشر أبشر بالنصر..

الهجرس النصر وأمير بكر أسيرُ تغلب!

عمرو قد انقذناه من مخاليهم. لبّي طلبك بنو يشكر

الهجرس جازاهم الله خيراً

عمرو أقبلوا معنا وعاضدونا فامتلأت قلوب ابطالنا آمالاً بعد الخذل والانكسار وارتكنت بنو تغلب الى الفرار. وما زلنا نضرب ونطعن حتى انقذنا الامير من ايدي الاعداء. واستأسرنا سيدهم المهلهل

الهجرس وخالي جساس؟

عمرو لم نتمكن من الوصول اليه. فان هناك قوماً من الاعداء نجوا من بطشنا

فاستبقوهُ وقادوهُ اسيرًا

الهجرس وما الخبر عن ثعلبة ؟

عمرو رذلهُ المهلهلُ ونفاه ولم يرضَ بهِ في عسكره. وقد علمت من احد الطلائع انهُ شاخص الى حيّنا بُغيتهُ ان يستخلص ما لهُ لدينا من المال ثم يتيه في الصحارى بعيدًا عنّا وعن تغلب

الهجرس ان اتى الحيَّ فهو ميت لا محالة. هل قريب رجوع أبي ؟

عمرو نعم وقد اوفدني اليك كي اسكن روعك ولئلا تنأى عن الحيّ

الهجرس قل لهُ اني مطيع أمر ابي (يخرج الرسول بعد ان اشار اليه الهجرس)

المشهد الثالث

الهجرس وحدهُ

الهجرس نعمت النجدة نجدة بني يشكر. دان النصر لنا وقهرنا العدوَّ قهرًا

(يدخل لكيز وثعلبة)

المشهد الرابع

الهجرس – ثعلبة – لكيز

لكيز مولاي هاك ثعلبة. كنت مع بعض الطلائع فرأيناه متنكرًا يجول سرًا قصد الخلوص الى الحيّ. لكنَّا عرفناه وقبضنا عليه وها هو بين يديك

الهجرس ستنال جزاء أمانتك (يخرج لكيز)

المشهد الخامس

الهجرس وثعلبة

ثعلبة مولاي ارحم عبدًا مستجيرًا

الهجرس ويلك يا خائن

ثعلبة ويلاه ايؤذني القريب والغريب ايكرهني كلٌّ من بكر وتغلب ؟ سيدي الهجرس ؟ . . .

الهجرس اصمت يا ذميم

ثعلبة أتخيّب من استجار بك ؟ دعني استخلص مالي من الحيِّ فأنأى عنكم مدى الدهر . هذه حاجتي اليك ليس الّا

المجرس يا لها من وقاحة ! افبعد ما وسوس لك الشيطان فورَّطك في الغرور وخنت اميرنا تستجير بنا ؟ انت الساعي في هلاك قومي وتطلب نجدتي عليهم ؟

ثعلبة مولاي... (يفكّر)

المجرس لك اليَّ حاجة. هي مقضيّة. مرادك ان تنأى عنّا . انت تاه ورب الخلق. وما يبعدك عنّا مدى الدهر الأ حتفك الساعة (يضرب على سيفهِ)

ثعلبة (وحده) أعلن السرّ وابتهْ الامر برمّتهِ

المجرس فلأنتقمنّ للوطن من خيانتك (يسحب سيفهُ)

ثعلبة احبس سيفك. حرام عليك دمي وقد سعيتُ في نجاح (بقوة) بني تغلب وهم قومك

المجرس بنو تغلب قومي !... (وحده) اخذتني الحيرة لكلام هذا السفيه... (الى ثعلبة) يا هذا أعقلة من السحر بك أم جنون ؟ السيف يهزأ من جاهل مثلك (يغمد سيفهُ)... انا تغلبي والحارث بن عبّاد والدي ؟

ثعلبة ما انت الأ ربيبهُ

المجرس انا تغلبي وفي قلبي من الحبّ لبكرٍ ما لا يرضى الّا بإبادة بني تغلب عن آخرهم !

وقد حلفتُ يميناً لا أصالحهم ما دامَ منّا ومنهم في الملا احدُ
وقد حلفتُ يميناً ان أقاتلهم يومَ الطعانِ وقلب الناس يرتعدُ
فاليوم اصبحهم بابيض صائبةً عند اللقاء وحزّ الموت يتّقدُ

...قلت لك بك عقلة من السحر أو جنون

ثعلبة أبيتَ اللعن لا عقلة سحرٍ بي ولا جنون (بقوّة) انت تغلبي وابوك كليب وائل

المجرس كليب وائل ! أفي الحلم انا ام في اليقظة ؟

ثعلبة نعم ان والدك كليب وكليب وائل... حملتك طفلاً الينا أُمكَ جليلة يوم قُتِل ابوك ثم تزوّجها الحارث بن عبّاد وربّاك وأعزّك كولده جليل

المجرس (متهكماً كانهُ لا يُصدّق) وكتمني نسبي ! يا للغدر !

ثعلبة كتمك أيّاه خوفاً من سُخط خالك

الهجرس جسَّاس !

ثعلبة نعم جسَّاس مُثير حرب البسوس. جسَّاسٌ قاتل ابيك اضمرَ لك البُغْض وقد طالما عمل على قتلك. يخاف على روحه من ثأرك بابيك اذا علمتَ نسبك فشرط على الحارث كتمانهُ عنك والَّا عمد الى قتلك... لكنَّ خالك اخو غدرٍ وخداع. هو مُصرٌّ على بغضهِ لك وان سنحت لهُ الفرصة نقض شرطهُ وقتلك لا محالة

الهجرس (وحده) لقد جاشت مني النفس...

ثعلبة فما كان اولى بكَ ان تثأر بابيك وتُغمد سيفك في نحر قاتله قبل ان تجرّدهُ عليَّ كانئاً من كنت... وان شئت...

الهجرس وبرهان قولك ؟ لا اطمئنُّ الى اهل الخيانة . لا استرسل اليك وقد طالما خاتلتَ وداهنت ونصبت المكايد لقومك

ثعلبة ان شئتَ دليلًا على صحَّة قولي فهلمَّ الى امّك (يريد الخروج من جهة الحيّ)

الهجرس (يوقفهُ) ماذا ؟ تريد الفرار ؟ (وحدهُ) عليَّ بالتحفُّظ من هذا الماكر. (الى ثعلبة) إلزم مكانك (ينادي من جهة باب الحصن) نويرة !... نويرة !... ليس من مجيب !... غريبان يدخلان الحصن من غير علمي !. (يدخل صخر وسحبان)

المشهد السادس

الهجرس وثعلبة وسحبان وصخر

سحبان (الى الهجرس) على رِسلكَ

الهجرس (يضرب على سيفه)

صخر سيفك

الهجرس (الى سحبان) ان شئتما المبارزة فتخيَّرا امَّا الصراع . امَّا الطعان . امَّا المناخة

سحبان وصخر إنك لميتٌ إذن !

ثعلبة مهلًا يا اخوا العرب اتتعدّيان على رجل ولا تعرفان نسبهُ ؟ لئن اوقعتما بهِ شرًّا ليُقتلنَّ بهِ رجالٌ

سحبان حسبُنا انهُ بكريٌّ ونحن من بني تغلب

ثعلبة هو بكريٌّ ؟ ما اخطأ ظنُّكما ! هو المهجرس بن كليب وائل ويكون بكريًّا !

سحبان ابن كليب وائل ؟

ثعلبة نعم ابن كليب وائل . كان أخفي عليهِ نسبهُ الى اليوم ولكني اوقفتهُ على حقيقة الامر . . . عارٌ عليكما سفكُ دمه وهو ابن سيّد تغلب

صخر قيل لنا انهُ بكريّ وانَّ بينهُ وبين جسَّاسٍ طائلة

ثعلبة (الى المهجرس) أتحققت صحَّة قولي ؟

المهجرس ومن اجل هذه الطائلة ارسلكما جساس ؟

سحبان نعم بعث الينا من يصف لنا شارتك ويستحثُّنا على قتلك وقد أجزل لنا العطاء .

المهجرس قبحاً لخالي جسَّاس . ما اوغرَ صدرهُ . . . ومن اولجكما الحصن ؟

صخر قيل لنا ان ننتهز فرصة تغيُّب الحارث ونأتي الحيّ وإنَّ ثمَّة رجلًا يُدعى نويرة يفتح لنا الحصن ويُجيزُنا بين الجنود كأنَّا رسولان اليك ويدلّنا عليك

المهجرس نويرة فعل ذلك !

صخر فأتينا وكان كما رأيت

المهجرس (بغضب) اذًا هي دسيسة من جساس !

ثعلبة نعم انها لدسيسة . قد وَضح الحقُّ وحصحص . لا حاجة لك الى دليل آخر

المهجرس تيقَّنتُ قولك يا ثعلبة . جسَّاس قاتل ابي . جسَّاس اكنَّ لي البغض واضمرَ قتلي . آه اشعر بنار الغيظ تتوقَّد في فؤادي اشعرُ بدمِ وائلٍ ابي يفورُ في عروقي . الثأر ! الثأر ! لا راحة لي . لا قرار لي او أثأرَ بأبي . لا قرار لي او اقتلَ بجسَّاس عدوّي وأجندلهُ مضرّجاً بدمائهِ . وان اخفق مسعايَ فاني أستثير بغض الانس والجنّ واهيّج على جسَّاس الارض والبحر والملا

جارت بنو بكر ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قصد الطريقْ
حلَّت ركاب البغي في وائلٍ في رهط جساس ثقال الوثوقْ
يا ايها الجاني على قومِهِ جناية ليس لها بالمطيقْ

جنايةٍ لم يدرِ ما كنهها جانٍ ولم يصبح لها بالمليق
ان كنتُ لم اثأرْ به فاشحذوا شفارَكم منّا لحزّ الحلوقْ
ذبحاً كذبح الشاة لا يتّقي ذابحها الّا بشخب العروقْ
غدًا نساقي فاعلموا بيننا رماحنا من قانٍ كالرحيقْ
ليس اخوكم تاركاً وترهُ وليس عن تطلابكم بالمفيقْ

ثعلبة عشت ايهـا الامير · من يشكّ انك من سلالة وائل وفيك ما فيك من النخوة وعزة النفس ؟ · من اشبه اباه فما ظلم

الهجرس ان بني شيبان وجساساً نذلهم يعلّلون النفس بالنصر · اتاني رسول بكر واعلمني انهم اسروا المهلهل

صخر ولكنْ جساساً اسيرنا

سجان قرَّ عيناً ايها الامير فإنا سننقذ المهلهل لا محالة

الهجرس سيمتلهُ بنو بكر في سجن هذا الحصن والحصن ملك ضبيعة ليس فيه من شيبان الأبوبرة المنافق · وانا اعزُّ لضبيعة من جساس واملي بهم ان ينضموا اليَّ ويعاضدوني عليه

سجان وانا سائر لاجمع تحت رايتك بني اسد احلافنا فاضمّهم الى من بقي من تغلب · ولا نكفّ عن مقاتلة شيبان

حتى نرى اوصالهم وجماجماً منهم عليها الخامعاتُ وقوعا
ونرى سباع الطير تنقر اعيناً وتجرّ اعضاء لهم وضلوعا

الهجرس والمشرفيّة لا تعرّج عنهمُ ضربًا يقدّ مغافراً ودروعا
والخيل تقتحم الغبار عوابساً يوم الكريهة ما يُردن رجوعا
قتلوا كليباً ثم قالوا إرتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد رتوعا

(يسير الهجرس وصخر من جهة الحصن وثعلبة من جهة الحي · واما سجان فيبقى ويوقفهما قائلًا) :

سجان رُويدًا رويدًا ايها الامير · الأولى بنا ان نتروّى في الامر قبل الذهاب · · · انت سيدي جُز بالحيّ

ثعلبة من وراء الحيّ · من حيث أتيت انا

صخر ونحن ؟

ثعلبة أرى قيساً مقبلًا

المهجرس (الى ثعلبة) أسرعْ الى ما أتيتَ اليهِ (يخرج ثعلبة) (الى التغلبيَّين) اختبئا في هذه الغرفة (يخرج التغلبيَّان) . . . (وحدهُ) ان قيساً صديقٌ لي وانا اطمئن اليه . لعلهُ يزيدني ايضاحاً على ما بثني ثعلبة (يدخل قيس)

المشهد السابع

المهجرس وقيس

قيس مولاي مولاي كيف سُلِمت من مخالب العدو ؟

المهجرس سكِّن روعك يا قيس . ما الخبر ؟

قيس حذارِ حذارِ من الخيانة . آه ! تبًا لنويرة الخائن . أولج الحصنَ رجلين من تغلب كأنهما رسولان اليك وانما هما قاتلان . ولكن . . . (يلتفت حائرًا) اين هما ؟ كيف تأتيا عليك الآن ؟

المهجرس خفض الجأش . أخبرني وأصدقني الخبر كيف علمت ما اضمرهُ نويرة ؟

قيس وثق بي نويرة كأني مثلهُ من اهل الخيانة . أعلمني انهُ أجاز الرجلين بالحصن وسألني ان أعلنَ الخبرَ انك برزت من الحي الى الاعداء . فقتلوك

المهجرس وماذا اجبتهُ ؟

قيس أجبتهُ بالعقاب . طعنتهُ طعنةً نجلاء . أنزلت بهِ الرَدى

المهجرس وما كان قصدهُ بالخيانة ؟

قيس طمعُ مولاي بالعطايا والصِلات

المهجرس صلاتِ مَن ؟

قيس (متردِّدًا) . . . ثمةَ مولاي شرحٌ يطول

المهجرس (مُلحًّا) أصدقني الخبر

قيس (وحده مفكِّرًا) قد طالما استحوذ الضلال على المهجرس

المهجرس (مُلحًّا) لا تُخفِ عليَّ شيئاً

قيس (وحدهُ) وقد اوشك ضلالهُ ان يؤدي بهِ الى حتفهِ

المهجرس (بضجر) ناشدتك الله يا قيس . تكلم . اخبرني

قيس (وحدهُ) أبثُّهُ الامرَ برمّتهِ . . . (الى المهجرس) مولاي كنّا كتمناك

نسيك الى الآن طوعاً لأميرنا الحارث. لكنّ جساساً طالما بغى وغدر. هو اصل الشرّ . . . . . .

المجرس كفى يا قيس. انا ابن وائل وجساس قاتله حاقدٌ عليَّ

قيس (متعجباً) كيف بلغك الامر ؟

المجرس ساعلمك ذلك . . . اذهب الساعة . . .

قيس ولكن تيقّظ مولاي (يلتفت) ابن التغلبيان ؟ اني خائف عليك منهما (يدخل سجان وصخر)

المشهد الثامن

المجرس وقيس وسجان وصخر

قيس ويلٌ لكما !

المجرس قف يا قيس لا خوف عليَّ منهما

قيس مولاي ان شئت معاضدةً فرني . كلُّ بني ضُبيعة في قبضتك

سجان (الى قيس) سكّن الروع كيف نستحلُّ قتلهُ وهو ابن اميرنا

قيس اتعرفان نسبهُ إذن ؟ . .

صخر نعم وإن كنتم يا بني ضُبيعة في قبضة الامير فهلمّوا لاعانته على جساس وإنقاذ المهلهل اسيركم

قيس (الى المجرس) لبيك سيدي . جساس ملَّهُ الامير الحارث . ملّهُ قومي على مكره وغدره . وان اعلمتهم بمواطأته مع نويرة على قتلك فهم كلهم لك حربٌ عليه وانت تعلم مكانتك من محبتهم . طب نفساً ايها الامير . انا احلّ اسرَ عمّك وأبثُّ في افئدة قومي روح البغض والشحناء لجساس

سجان هو الآن اسيرٌ في حِبنا

المجرس اسيرُ اليه وأعاقبه عقاباً

صخر وان نجا جساس هارباً الى حيّه او انقذهُ الاعداء ؟

قيس فليُقد الاميرُ الينا (الى المجرس) الحصنُ بيدنا ونحن في قبضتك نعينك على بني شيبان

المجرس (الى سجان وصخر) سيكون لقاؤنا في اللاهي (يخرج سجان وصخر

من جهة اليمين) (الى قيس) . اجز الرجلين بالحصن كي يخرجا (يخرج قيس من جهة اليمين) وانا امرٌ من وراء الحي (يهمّ بالخروج من جهة الشمال فيدخل جليل)

المشهد التاسع

المجرس وجليل

جليل اخي اخي (يقف المجرس) قد عال الانتظار صبري وصبر امي جليلة

المجرس (وحدهُ) أيُقعدني أخي عن الاخذ بثأر ابي

جليل ما بالكَ تضطرب فرائصك ؟

المجرس (وحده) ارخى عزيمتي وزعزع غيظي !

جليل هل من خبر عن ابي وخالي ؟

المجرس دان النصر لبكرٍ يا جليل

جليل اذن ما بالك كئيباً تعلو وجهك علاماتُ الاضطراب

المجرس (وحدهُ) لا . لا يحجزني حاجز عن انجاز مقاصدي (الى اخيه بعنف) دعني (يهمّ بالخروج)

جليل ماذا ! انت ذاهب يا اخي ؟

المجرس (يلتفت) اذهب وقل لامك انني لا انثني عن دسّ الدسائس حتى أُدرك ثاري من قاتل ابي . قل لها . . .

جليل ابي الحارث بن عباد قُتل ! . . . آه ! ابي . . . ابي . . .

المجرس آه ! لو اطعتني من قبلُ . . . قل لها انهُ لا بُدَّ لي من سفك دم جساس اخيها (يخرج)

جليل ايكون هو قاتل ابينا الحارث ؟ ماذا ! تتناءى عني (يتبع شقيقهُ قليلاً) اخي اخي ناشدتك الله (يعود ويجلس)

المشهد العاشر

جليل وحدهُ

جليل آه ابي ابي !

تربع الحزن في قلبي وذُبت كما اذا ذاب الرصاص أُصلي بنيرانِ

يا عين سحّي وجودي بالدموع ولا   قلّ يا قلب ان تُبلى باشجانِ

نشيد

ركني اصدَما   يا عينُ جودي   دماً دَما
سعدي عُدما   بين السعودِ
زالَ الفرَحُ   وافى الشقاه
وقد غَدا   زَمنَ الردى   عند المدى
يا رَبِّ آه   حامي الذمارِ
خالي مَضَـا   بالجحود   حقاً سَا
ظهري قَما   كيدُ الحسودِ
حلَّ الترحُ   زال الهناه
نفسي فدا   من قد هدى   نحو المدى
يا ربِّ آه   آلَ الديارِ

كيف أملّ البكا. وقد قُتل ابي... قتلهُ جساسُ خالي... قال اخي ان بكرًا قد انتصرت. ويلاه! بئس الانتصار انتصارها وثمنهُ دمُ ابي. ويلاه! اما كفاني مـا الم بي من المصائب بفقد ابي حتى ارى الهجرس ينأى عني ويخاطر بحياتهِ... (يقف) اقوم واسرع اليـهِ. اقول لهُ ان دون ثأرهِ خرط القتاد. استحلفهُ بحبهِ لأمنا جليلة. بحبهِ لي (يخرج) (يدخل الحارث مع جنودهِ)

المشهد الحادي عشر

الحارث والجنود

الجنود   النصر النصر...
نشيد   العزّ براياتِ النصرِ   والمجد تربّع في بكرِ
النصر بسيفِ الابطالِ   والفخر بنصل السُّالِ
والـسكرُ باحمرَ سيّالِ   من جرحٍ دامٍ هطّالِ
كسيولٍ من وادٍ تجري
اوردْنا الراياتِ الحمرا   اترلْنا في الخصم الحربا
اشبعنا اعدانا ضربا   ورجعنا نحتفُ والطربا
العزّ براياتِ النصرِ

الحارث   هل عرفت الغداة رسماً مُحيلا   دارساً بعد اهلهِ مجهولا

سفهت تغلبُ عداة تمنّت حرب بكرٍ فقُتّلوا تقتيلا
غير انا قد احترينا عليهم فتركناهم بقايا فلولا
اذكروا قتلنا الاراقمَ طرًّا يومَ اضحى لقيفها مقتولا
فاصبنا الذي اردنا وزدنا فوق اضعافٍ ما اردنا فصولا
(الى الجنود) آل بكرٍ قد انتقمنا بضربٍ يدَعُ المرد حين يبدو كهولا
واسرنا مهلهلًا حين سرنا واذقنا العدى طعاماً وبيلا
واردنا لتغلبٍ يوم سوء فقتلنا منهم قبيلًا قبيلا
وتركنا بواردات اليهم فتولّوا ولم يطيقوا النزولا
كل قوم نبيحهم وحمانا قد منعناه ان يباح سبيلا

(يعيد الجنود الشطر الثاني من كل بيت)

(يدخل جليل)

المشهد الثاني عشر

الحارث والجنود وجليل

جليل (وحده) أواه! لم يُصِخ اخي الى قولي (يلحظ اباه ويلحظهُ ابوه) ابي!

الحارث بُنيّ (يتعانقان)

جليل ابتِ من نشلك من مخالب الموت؟

الحارث طب نفساً بني

جليل (وحده) قد اخطأ في ظنهِ الهجرس!

الحارث طب نفساً قد انتصرنا على الاعداء

الجنود وهزمناهم هزماً

الحارث نعم ان خالك جساساً اسيرٌ لدى بني تغلب ولكن المهلهل اسيرنا (الى الجنود) وهو مخيّرٌ ان رضي بان يبعث الى قومهِ كي يُخلوا سبيل جساس والّا قتلناه قتلًا (الى جليل) ابشر بني وجلّ الهم عن قلبك

جليل ولكنّ قلبي لا يزال مكلماً على هجرس اذ قد تولى بلا عودِ

الحارث الهجرس تباعد عن الحي؟

فاتك ليس هو في الحصن مولاي

بشار شاع انهُ خرج لامر هام ينهب الارض نهباً ويضرب آباطها ضربا

خالد وقد راعني سيّدي امر نويرة

الحارث نويرة أكان جسّاس ابقاه هنا في الحصن

جليل ذهب اخي الى جسّاس في حي تغلب يريد قتلهُ

الحارث يريد قتلهُ ؟ ماذا تقول (وحدهُ) ايكون الهجرس وقف على حقيقة نسبه ؟

جليل لستُ ادري من اصل اخي واخبرهُ ان جساساً قتل ابانا

الحارث قد طمّ الخطب ولا قرار لنا . ما قال لك اخوك يا جليل ؟

جليل عبثاً سألتهُ . لم يُجبني الّا بهذا الكلام : قل لامك انهُ لا بدَّ لي من قتل جساس قاتل ابي

الحارث (وحدهُ) لقد وقف الهجرس على نسبه وهو ثائرٌ (الى جليل) اي وقت كان ذهاب اخيك ؟

جليل خرج من حين من وراء الحيّ

الحارث (الى احد الجنود) اذهب في اثره وقل له ان يعود حالًا (يخرج الجندي من جهة الحيّ)

جليل (ينظر الى الجهة التي يخرج منها الجندي) آه من لي بان يعيدهُ اليّ . من لي بان يعيدهُ الى امي سالمًا (يُرخى الستار) (لها تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Ad-Damîrî 's Hayât al - Hayawân (a Zoological. Lexicon) translated from the Arabic by A. S. G. Jayakar I. M. S., Vol. II. part 1, *London, Luzac and C°*, 1908, pp. 604

ترجمة انكليزيّة لحياة الحيوان الكبرى للدميري

وصفنا قبلًا (في المشرق ١٠: ٧٦٥) القسم الاوّل من هذه الترجمة وبيّنا خواصها وفوائدها . ويتناول هذا القسم الثاني اوصاف الحيوانات التي تبدأ اسماؤها بحرف الزاي الى آخر حرف القاء . وصاحب هذا النقل يكتفي غالباً في ترجمة الاصل بامانة دون ان ينتقد عليهِ في شيء . ولهُ في ذيل الكتاب ملحوظات قليلة مرجعها الى اللغة . ولنا الامل ان يضيف المترجم الى القسم الاخير التذييلات والحواشي والفهارس

التي تزيد هذه النقول منفعةً. ولا شكَّ في انَّ علماء الطبيعيَّات يقبلون على هذه الترجمة التي توقفهم على فضل كاتب عربي دعوهُ باسم « بلينيوس العرب » ل. ش

Vies des Saints par **Paul Bedjan** P. D. L. M. **Lazariste**, *Paris, rue de Sèvres- Leipzig, O. Harrassowitz*, 1912, pp. 687

ܚܝܐ ܕܩܕܝܫܐ

المنشورات العلميَّة المتعددة التي ابرزها حضرة الاب بيجان اللعازري في السريانية والكلدانية فاكسبتهُ شكر المستشرقين عموماً لم تُنسهِ مواطنيهِ الكلدان بل طبع لفائدتهم عدَّة تآليف شاعت اليوم بينهم في جهات العراق والعجم وانعشت فيهم روح التقى. وها هوذا اليوم قد ألَّف لهم كتاباً في لهجتهم الحديثة اهدانا منهُ نسخة ألا وهو مجموع اخبار القديسين وضعهُ على طريقة سهلة وفي اللغة الكلدانيَّة العامَّة وطبعهُ طبعاً متقناً في ليبسيك فجاء كتاباً لطيفاً صغير الحجم واسع المواد وقد تبع في ترتيبهِ ابواباً معلومة فباشر بترجمة القديس يوسف البتول واختها بترجمة القديس يوحنا المعمدان والقديس اسطفانس اول الشهداء ثم الرسل والتلاميذ والشهداء والمعترفين وناسكي الرهبانيات والعذارى. وقد اتسع على الاخصّ بذكر اولياء الله الذين اشتهروا بين الكلدان ووردت اسماؤهم في كتبهم الدينيَّة. فنخصّ الشكر لحضرة المؤلف ونحث الكلدان على ورود هذا المنهل العذب ل. ش

Isis Copia : Fleurs de Rêve. *Le Caire*. 1912, pp. 137

منظومات فرنسويَّة

انَّ هذا المجموع قد نسجت بُردهُ فتاة وطنية شديدة الشواعر فحاولت ان تنظم بالشعر ما احسَّ بهِ قلبها وشغل مخيّلتها بازاء مشاهد الطبيعة وتقلبات الحياة في مدرسة راهبات عنطورا ثم في انحاء مصر والاسكندريَّة ثم في جهات لبنان وبلاد الجليل. وكأنَّ الناظمة ارادت ان تجاري الشاعر لامرتين فقدَّمت كتابها لذكرهِ وصوَّرت شعرها على صورة شعرهِ. واحسن ما وجدنا في هذه القصائد تديُّن ناظمتها ل. تيوليه

جواهر الادب من خزائن العرب

الجزء الثالث. جمعهُ سليم ابراهيم صادر

طُبع في المطبعة العلميَّة سنة ١٩١٢ (ص٢٨٢)

هذا الجزء كشقيقيهِ السابقين (المشرق ١٤: ٣٦٦ و٧١٧) في سعة موادهِ وتفنن

مضامينهِ جملة جامعة الاديب على ابواب شتى على مثال كتابنا مجاني الادب لكن دون مراعاة الطبقات وهو في الغالب مأخوذ عن الموارد عينها الّا بعض قصائد لشعراء محدثين ورسالات لكتبة عصريين . والكتاب مضبوط بالشكل ليس فيهِ ما تعثر بهِ رجل الاحداث فيحسن استعمالهُ في كل المدارس ل . ش

CORPUS SCRIPTORUM ORIENTALIUM—Scriptores Arabici : Agapius Episcopus Mabbugensis. Historia Universalis, edidit L. Cheikho s. j. *Beryti*, MDCCCCXII, pp. V-429

تاريخ اغابيوس (محبوب) بن قسطنطين المنبجي

اوّل من ذكر هذا التاريخ هو الامام المسعودي في كتابهِ التنبيه والاشراف (ص ٢١٢ من طبعة ليدن) في سنة ٣٣٠ هـ (٩٤٢ م) وعليهِ فانهُ من اقدم الآثار النصرانيَّة وكان المؤلف معاصرًا لابن البطريق فوضع كلاهما تاريخهُ في الوقت عينهِ تقريباً ولا يظهر ان الواحد عرف الآخر اذ كان ابن البطريق بطريركاً ملكياً على الاسكندريَّة واغابيوس اسقفاً ملكياً على مدينة منبج ليس بعيداً من الفرات . وكأنَّ الله اراد ان يحيي تاريخي هذين الكاتبين المتعاصرين على يدنا فبعد ان نشرنا تاريخ ابن البطريق اخذنا في طبع تاريخ المنبجي الذي يعدُّ كتاريخ معاصرهِ من اوَّل العالم الى زمانهِ . وهذا التاريخ يُقسم قسمين قسم منهُ يبتدئ بتاريخ الخليقة وينتهي الى عهد ثاودوسيوس الكبير ومنهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان قابلناهما على نسخة ثالثة في مكتبة دير السريان في الشرفة . والقسم الآخر لا يُعرف منهُ غير نسخة وحيدة في مدينة فلورنسة من اعمال ايطالية حصلنا على صورتها الشمسيَّة بهمَّة احد آباء رهبانيتنا . على انَّ هذا القسم مع عظم شأنهِ غير كامل وهو ينتهي في خلافة المنصور العباسي . فطبعنا القسمين وذيلناهما بالحواشي والاصلاحات . والظاهر انَّ المؤلف لم يكن يحسن العربيَّة في زمانهِ ففي انشائهِ ما يقرب من اللغتين الشائعتين بعدُ في نواحيهِ اي السريانيَّة واليونانية . ومن مزاياه انهُ يصف ما وقع من الحوادث في جهات الرها ومنبج ونواحي الفرات . وقد استعار شيئاً من تاريخ مفقود لاحد كتبة الموارنة في عهدهِ اعني بهِ ثاوفيل الرهاوي الذي كان طبيباً للخليفة المهدي وهو ناقل الالياذة الى الشعر السرياني كما روى ابن العبري (اطلب المشرق ٢ : ٢١٩ و٣٥٦) . واملنا

ان يكتشف احد الشرقيين نسخة كاملة من هـذا الكتاب. فيخدم الآداب العربيّة خدمة يشكره عليها كل محبّ الآثار النصرانيّة ل.ش

Emile Gebhart : I. Petits Mémoires, VI-292 = II. Contes et Fantaisies, p. 308. Paris, Bloud et C^ie 1912

مجموعة مذاكرات وروايات متفرّقة لمسيو كبهارت .

صاحب هذين التأليفين احد اعضاء الاكادمية الفرنسويّة وقد اشتهر بعدّة مصنّفات تاريخيّة دينيّة ومدنيّة لاسيا في تاريخ نهضة الآداب في القرن الخامس عشر. وكان له عدّة كتابات قصيرة متفرقة نشرها في الجرائد والمجلّات فلمّا توفي قبل سنين قليلة جمعها الطبّاع بلود ونشرها في هذين الكتابين اللذين اهدانا منهما نسخة. واذ لا يسعنا تتبّع فصولهما الموجزة قد اخترنا منهما رواية اثبتناها في صدر هذا العدد عن دياميس رومية وفصح النصارى فيها على عهد نيرون. وفي هذا المجموع فصول أخرى تستحقّ الذكر منها «استعارة» من العادات الشرقيّة. وهناك نبذة عن مرور رينان الكافر الشهير في مدرستنا في غزير سنة ١٨٦٦ نحيل اليها القرّاء ل. ت

الاعتقاد تجاه العقل والعلم

الخطبة الثانية والثالثة لحضرة الخوري لويس دريان

في المطبعة الملية سنة ١٩١١ (ص ٧٦)

اشرنا في العام المنصرم (الشرق ١٤ : ٣١٤) الى الخطب التي القاها في كنيسة مار مارون حضرة الخطيب المنوَّه به وكنّا تمنّينا لو واصل طبع تلك الخطب الجليلة فيزكو بها الزرع الجيد وتثمر في النفوس اثمار الخلاص وكأنّ حضرته اجاب ملتمسنا فنشر خطبتين اخريين الواحدة في وجود الخالق والاخرى في الالفة بين العقل والدين وكلتاهما من المواضيع التي يجبّ اهل عصرنا الخوض فيهما. فما عليهم الّا ان يتبعوا حضرة الخطيب فهو خير دليل يرشدهم الى الحقيقة باسطع البراهين واحسن الكلام وقعاً في القلوب ل. ش

كتاب زهور النفس من حديقة خوري أرس

بقلم الاب بولس سيور البولسي

بمطبعة مار بولس في حريصا (لبنان) ١٩١٢ ص ٩٦

زهور النفس تفتحت اوّلًا في مدينة أرس حيث غرسها ذلك الكاهن الشهير

بقداسة الطوباوي ڤياتاي فغاحت هناك وعطّرت النفوس بعبيرها فنشكر حضرة الاب بولس سيور الذي قرّبها الينا بتعريبه ليفوح عرفها في بلادنا الشرقيّة ويذوق اهل اوطاننا ثمارها الشهيّة ل٠ش

شذرات

اليوبيل الاسقفي لغبطة بطريرك السريان قد احتفل السريان الكاثوليك بتذكار السنة الخمس والعشرين لاسقفيّة غبطة بطريركهم الجليل السيد اغناطيوس افرام الثاني رحماني فشاطرتهم الافراح بقيّة الطوائف وافاضت الجرائد في وصف هذا الموسم البهيج فننتهز نحن هذه الفرصة لذكر التآليف التي وضعها صاحب الغبطة فخدم بها الكنيسة والآداب الشرقية٠ فمن آثار غبطته اذ كان كاهناً يُدعى لويس (١) مختصر في التواريخ المقدَّسة على سبيل السؤال والجواب سنة ١٨٧٦ ولدينا طبعته الرابعة ثم (٢) مختصر التواريخ القديمة سنة ١٨٧٦ثم (٣) مختصر تاريخ القرون المتوسطة سنة ١٨٧٧ ٠ومن آثاره لمّا سُقِّف على الرها باسم رابولا (٤) كتاب الشهر المريمي يتضمن تأملات في سيرة سيدتنا مريم العذراء ومناقبها سنة ١٨٩٢ وهذه الكتب الاربعة مطبوعة في الموصل في مطبعة الدومنيكان٠ وفيها طبع (٥) سنة ١٨٩٦ وهو رئيس اساقفة حلب ترجمة اللاتينيّة لكتاب اللمعة الشهيّة في نحو اللغة السريانيّة للمطران يوسف داود٠ ولمّا صار بطريركاً للطائفة السريانية نشر (٦) كتاب وصية الربّ (Testamentum D^ni^ N^i^ J. X^i^) طبعهُ في الثانية سنة ١٨٩٩ ونقلهُ الى اللاتينيّة وعلّق عليهِ التعليقات المهمة (اطلب المشرق ٢ :٤٩)٠ وفيها نشر (٧) اعمال القديسين الشهيدين غوريا وشامونا (المشرق ٢ :١٠٠٤) مع ترجمتها الى اللاتينيّة وتذييلها٠ وفي السنة ١٩٠٤ باشر بنشر دروسهِ السريانيّة (Studia Syriaca) التي ظهر منها ثلاثة اقسام (٨–١٠) تجمع كثيراً من الآثار السريانيّة الدينيّة والعلميّة والادبيّة (المشرق ١٩٠٤ ص ٣٣٦ و١٩٠٨ ص ٥٥٨ و١٩٠٩ ص ١٥٣)٠ وفي السنة ١٩٠٤ ايضاً نشر (١١) تاريخاً قديماً دينياً ومدنياً لمؤرخ سرياني طبعهُ في الشرفة (المشرق ١٩٠٤ ص ٧٣١) ٠ وطبع في مجلة بساريون (١٢) سنة ١٩٠٣ بعض ميامر

لمار افرام. وفي سنة ١٩٠٦ طبع (١٣) في الشرفة كتاب البتوليّة لمار افرام مع مقدّمات وشروح وترجمة لاتينيّة (اطلب مقالتنا في المشرق ١٠: ٣٢) ثم طبع هناك (١٤–١٥) كتاب الشحيم سنة ١٩٠٢ وخدمة القدّاس (١٩٠٧) حسب طقس الكنيسة السريانية الانطاكيّة بعد تنقيحهما وتحسينهما والزيادة عليهما وكذلك (٦) نشر بعد تنقيحهِ كتاب فصول الاناجيل. وسيُتبعهُ قريباً (١٧–٢٠) بفصول الرسائل والخِدَم الكهنوتيّة والجنازات والاخبار. وله تآليف عديدة معدّة للطبع. هذا فضلًا عمّا نقح واصلح وضبط او نشر غفلًا من اسمهِ جازاه الله خير جزائهِ

تحية الشرق بالمكتب الفرنساوي الجديد — نظم حضرة المنسنيور يوسف العالم هذه القصيدة العامرة الابيات يحيي بها مكتبنا الطبي الجديد باسم اقطارنا الشرقية مثنياً على فرنسا القائمة بنفقات هذا المشروع الجليل وعلى رئيس المكتب الذي بهمّتهِ بلغ الى هذه الدرجة من النجاح

حيُّوا فرنسا عندَ مدخلِ ذا البنا ... وادعوا لمن بذلوا بجانبهِ الغنا
نشرتْ فرنسا فوقهُ علَماً لها ... ولها نشرنا حولهُ علَم الثنا
ذكرى بني عثمان موصولُ الولا ... بالدولتين فانَّ عاندهُ لنا
ها دولة الاحسان فاضَ سخاؤها ... شرقاً وغرباً والسخا شرَفُ الغنى
ايُّ الأيادي لم تنل منها يداً ... ايّ الاماني لم تنل منها مُنى
ذا مكتبٌ للطبّ قام بفضلها ... وبفضلهِ نادى الزمانُ. وأعلنا
هاكم تلامذة له فتبيَّنوا ... شرفَ الطبيبِ وما اسمُ مكتبهِ عنى
هاكم شهاداتٍ لهم من خطّ مَن ... بذلوا بنصحهمِ النهى والأعينا
في كل قطرٍ منهمُ من حقّقوا ... آمالنا فيهم ذكاً وتفنّنا
يا ايها التلميذ حسبُك رفعةً ... بتنال استاذٍ بشخصك بيّنا
تلك الحديقة والصنوبرُ دوْحُها ... بهوائهِ وظلالهِ تنفي الضنا
وهنا الحديقة من عطور زهورها ... تعطي الدوا الشافي لأدواء بنا
تلكم صفوف الجند تحمينا العدى ... وهنا صفوف الطبّ تحمينا الفنا
الطبّ ما بين العلوم احبُّها ... للمرء في دنياه كي يلقى الهنا
من دون صحّة جسنا لا لذّةً ... نلقى ولو ضمَّ الممالكَ كفُّنا

حيُّوا أُساةَ الروح فينا انهم ... بالجسم ايضاً قد عُنوا نعمَ العنا
فهناك ننظر هيكلًا ومساجداً ... فيها نداوي النفس من اسقامنا
وهنا نرى للجسم احسن مكتبٍ ... مع كل اصنافِ العلاج لدائنا
فهنا المداوي والمداوى والشفا ... سبحانك أللهمَّ من هذا البنا
يا شخصَ كانانَ الرؤوف تسطَّرت ... لك للدهور عواطف من قلبنا
يا سَعْيَ كانان المجيد تثالّت ... لك في البحار بواخر بجفوننا
ذا صدرك الرحب الوسيع بوسطهِ ... النيشان من جدوى فرنسا زُيّنا
كم سرتَ غرباً ثم شرقاً كي ترى ... دورانَ شمسٍ فوق منطقة الدنى
دارت تبثُّ شعاعها بين الورى ... والحرّ قلب الكون منها كونا
كم لعةٍ لك في القصور تشاغلت ... ريحُ الصبا فيها واطيار الفنا
كم خطبة لك في المحافل ما انتهت ... الَّا بخطبة حبِّ سامعها لنا
كم كلمةٍ لك في الجرائد سطرت ... منها فصولًا سُطرت في لبّنا
وكذا رجال الدين فينا فلتكن ... للدين والدنيا وقل « ما أحسنا »
للدين والدنيـا تفانى غيرةً ... وبراعةُ الباني تبانُ يا بنى
أكرم بها جيئةً جمعت لنا ... روحاً وجسماً خير لسباب الهنا
يسوعُ قائدها فلا تخشى الردى ... « والربُّ اصبعهُ هنا » لن توهنا

☙ العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة ❧ بلغنا ان احد المسلمين في الثغر المسمَّى محمَّد طاهر التنير نشر في مطبعة الاتحاد العثمانيّ (واسم المطبعة غير مدون) كتاباً تحت العنوان المذكور. فلمَّا علمنا بصدوره اجتهدنا في تحصيل نسخة منهُ لدى مظانّهِ فكان الجواب انَّ الحكومة المحليَّة منعت بيعهُ في بيروت فأُرسل الى مصر. وان شاء الله نستحضر قريباً نسخة منهُ فنبيّن لكاتبهِ انهُ انخدع بالسراب واخطأ الحفرة بنقلهِ الى العربيَّة مزاعم فارغة لبعض الزنادقة الملحدين

☙ الكلمة وبطريرك القبط المستقيل ❧ اثبت البشير في عددهِ الصادر في ١٦ نيسان الاخير القرار الذي كتبهُ بيدهِ وارسلهُ الى المجمع المقدَّس غبطة بطريرك القبط السابق السيد كيرلوس مقار معلناً بايمانهِ الكاثوليكي • وآسفاً كل الاسف لكونهِ في ايام تجربة وقنوط واضطراب ادبي عظيم قد جاهر بالانضمام الى

كنيسة الروم المنفصلين دون ان يشاركهم في الاعمال الدينية » فاسرع صاحب مجلة الكلمة اذ بلغه نصُّ الخبر وطنطن مبشراً قرّاءهُ (في عدد ١ نيسان ١٩١٢ ص٢٠٨ — ٢١٤) « بدخول بطريرك الاقباط الى احضان الكنيسة الارثوذكسيَّة » وانَّ فعلهُ هذا « نتيجة اعتقادهِ الخالص بصحة عقائدها » (كذا!) وهو يلوم هناك بكلام مرّ اخوتهُ اليونان الارثوذكس في الاسكندريَّة الذين لم يوافقوا السيد فوتيوس على قبول السيد مكار في طائفتهم ويدعوهم « حجر عثرة في سبيل الارثذكسيَّة ». والآن اذ قد ندم البطريرك القبطي المستقيل على فعلهِ ظهر ايضاً لكل العيان ان اليونان كانوا ادقّ نظراً واسلم ذوقاً من السيد فوتيوس الاسكندري والسيد رفائيل هواويني الاميركي. وفي هـذه النسبة يحسن بنا ان نذكرهما بكلمة قالها لوتاروس زعيم البروتستانت: « ان البابا اذا اراد ان ينظف حديقتهُ القى الينا من فوق الحائط ما وجدهُ فيها من الاعشاب الباطلة » . فليفرح اعداء الكنيسة الكاثوليكيَّة بمثل هذه الهدايا الثمينة ويقابلوها بارتداد اعظم العلماء واكبر افاضل الناس الى الكثلكة كل يوم في كل البلاد (راجع ص ٣١٨ ما نقلناهُ عن الكلمة نفسها)

اسئلة واجوبة

س كتب لنا من دمشق احد القراء: كثيراً ما قرأنا في الكتب الاوروبية ان البابا سلفسترس الثاني الشهير بعلومهِ كان تخرَّج على العرب في قرطبة فالى اي سند يستند هؤلاء الكتبة في قولهم ?

البابا سلفسترس الثاني والعرب

ج البابا سلفسترس كان فرنسوي الاصل واسمهُ جربرت ولد في اورلياك نحو السنة ٩٤٠ ثم ترهب في رهبانيَّة القديس بنديكتوس وتخرَّج في العلوم اللسانيَّة والادبيَّة في موطنهِ على معلّم شهير يدعى ريشر اطنب في ذكره في تآليفهِ. وفي ابان دروسهِ مرَّ بديرهِ الكنت بورل امير برشلونة فرافقهُ جربرت الى اسبانية ودرس في مدينتي برشلونة وڤيش الرياضيَّات على معلّمين مسيحيّين فبرَّز فيها. وبعد ثلاث سنين رافق الكنت بورل الى رومية فادخلهُ على الملك اوتون الاوَّل الذي جعلهُ في خدمتهِ قبل تتويجهِ امبراطوراً ولمَّا لبس التاج الامبراطوري قدَّمهُ ثم ارسلهُ الى مدينة ريمس



غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني

بطريرك السريان الكاثوليك لانطاكي